وزارة الثقافة

تاريخ الحرم القدسي

عارف العارف

رقمنة

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

تاريخ الحرم القدسي

تأليف: عارف العارف

صدرت الطَّبعة الأولى عام ١٩٤٧

عن مطبعة دار الأيتام الإسلاميّة في القدس

وزارة الثقافة الفلسطينية
سلسلة الموروث الثقافي
اسم المؤلف: عارف العارف
اسم الكتاب: تاريخ الحرم القدسي
الطبعة الأولى: ١٩٤٧ عن مطبعة دار الأيتام الإسلاميّة في القدس

الإشراف العام: عبد السَّلام عطاري
مراجعة وتدقيق: حنين خالد عِناية
صف وتنضيد: شادية الخطيب
تصميم الغلاف: فاطمة حسين

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعمال المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the publisher.

فلسطين
www.moc.pna.ps

تاريخ الحرم القدسي

تقديم

سيادة الرَّئيس محمود عبَّاس «أبو مازن»

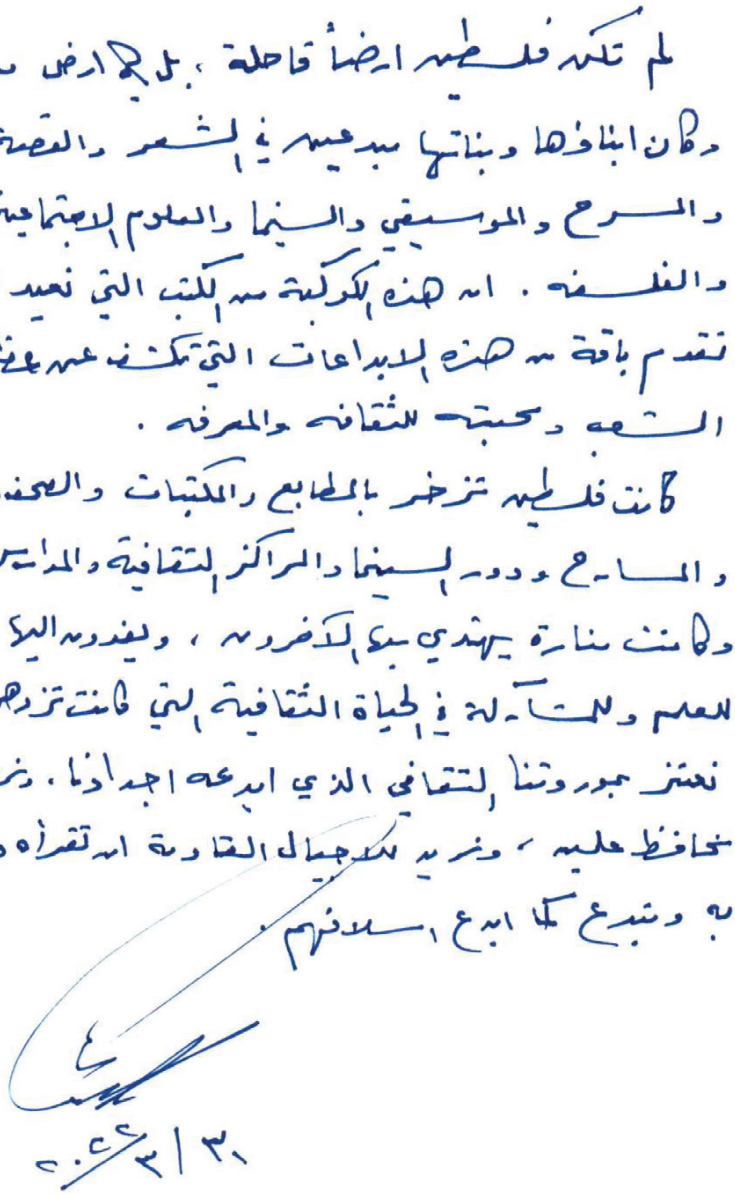

إهداء

...

إلى:

عبد الملك بن مروان

باني الحرم وموطد كيان العرب والإسـلام في هذه البلاد

أهدي كتابي هذا

لماذا؟

•••

صراع عنيف ... يقوم اليوم بين الشّرق والغرب؛ من أجل فلسطين، ويجاهد عرب فلسطين، ومن ورائهم العالم العربي والإسلاميّ، جهاد الأبطال من أجل الاحتفاظ بهذه البلاد عربيّة إسلاميَّة.

ويتساءل الغافلون الذين لم يقرأوا التّاريخ قراءة صحيحة: لِمَ هذا الصّراع؟ وعلامَ هذا الضَّجيج؟ وما فائدة هذه البقعة الضيّقة للمسلمين والعرب الذين يملكون الجزيرة كلها: بما فيها من وهاد، وبطاح وجبال وآكام؟

فإلى هؤلاء أقول: هاؤم اقرؤوا كتابية فإنّ في تضاعيف ما يبدّد غياهب هذا الرّيب، أنّه صفحة من أروع صفحات الخلود، إنّه المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشّريفين ... المسجد الذي أُسري إليه بالنّبي العربيّ الكريم:

«سُبْحَانَ الَذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ»

مسجد الصّخرة

•••

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسَّلام على سيّد المرسلين، نبيّنا محمد العربي وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

هناك كتب لا تُحصى عن المسجد الأقصى. بعضها مطبوع، والبعض الآخر مخطوط، وقد انتحى كلّ واحد من المؤلّفين النّاحية التي تلائم هواه، فمنهم من تناول النّاحية الدّينيَّة؛ فذكر فضائل هذا المكان الرّفيع، ومبلغ قدسيّته في نظر المسلمين، وفضل الصّلاة فيه إذا ما قيست بالصَّلاة في المساجد الأخرى، وما ورد في ذلك من آيات قرآنيّة وأحاديث نبويّة.

ومن هؤلاء بهاء الدّين بن عساكر صاحب (الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى) ومحمد بن أحمد المنهاجي السيوطي واضع كتاب (إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى) وأبو محمود أحمد بن سرور المقدسي مؤلّف كتاب (مثير الغرام بفضائل القدس والشّام) والقاضي أمين الدّين أحمد بن هبة الله الشّافعي كاتب (فضائل القدس)، وغيرهم كثيرون.

ومنهم من تناول النّاحية الهندسيّة؛ فبحث عن الأبعاد والمسافات، وذكر طول المسجد وعرضه، ووصف القبّة والأعمدة وما إلى ذلك من المعلومات، كعلي بن الحسن الهروي واضع (الإشارات في معرفة الزّيارات) وابن فضل الله العمري صاحب (مسالك الأبصار في ممالك

الأمصـار). وغيرهـما كثـيرون.

ومنهـم مـن تنـاول النّواحـي الدّينيَّـة والتّاريخيَّـة والعمرانيّـة معًـا، ومـن هـؤلاء شـمس الدّيـن أبـو عبـد اللـه محمـد بـن أحمـد بـن أبي بكـر المقـدسي واضـع (أحسـن التّقاسـيم في معرفـة الأقاليـم) والقـاضي مجـير الدّيـن مؤلـف (الأنـس الجليـل بتاريـخ القـدس والخليـل) وهـو، في نظـري، مـن أحسـن مـا كتـب في هـذا الموضـوع بلغـة الضَّـاد منـذ عهـد بنـي أميّـة إلى القـرن التّاسـع للهجـرة.

ولم أعـثر بعـد، في خزائـن الكتـب التـي تـير لي ولوجهـا في مـصر ولبنـان وفلسـطين والشّـام عـلى كتـاب عـربي دونـت فيـه طـوارئ، الحدثـان التـي ألمّـت بهـذا المـكان بعـد ذلـك التاريـخ تدوينًـا منطقيًّـا متسلسـلًا يبـل غلّـة الظـمآن.

ولهـذا شـعرت بالرّغبـة تحـدّوني لإتمـام هـذه الحلقـة النّاقصـة، وإنَّهـا لرغبـة خالصـة لوجـه اللـه، لا أبغـي مـن ورائهـا جـزاءً ولا شـكورا.

ولقـد اشـتدَّت فيَّ هـذه الرّغبـة عندمـا قـرأت مـا كُتِـبَ في هـذا الموضـوع مـن كتـب إفرنجيَّـة، ورأيـت أنّ مؤرخـي الفرنجـة قـد ذهبـوا مذاهـب شـتّى في تعليـل الكثـير مـن الحـوادث التّاريخيَّـة التـي لهـا صلـة بالحـرم القـدسيّ، فرأيـت مـن واجبـي كعـربيّ يحـب بـلاده ويفخـر بمآثـر قومـه وأجـداده، أن أعمـل عـلى ردّ الحـقّ إلى نصابـه.

وإنّي لأحمـده سـبحانه وتعـالى أن وفّقنـي للقيـام بهـذا الواجـب، بعـد أن درسـت الموضـوع دراسـة مسـتفيضة، وهأنـذا أضـع بـين يديـك، أيّهـا القـارئ الكريـم، كتـابي هـذا (تاريـخ الحـرم القـدسي) مشـتملًا عـلى تاريـخ الصّخـرة

المشرّفة والمسجد الأقصى المبارك وما بينهما وحولهما من مبانٍ وآثار، مؤيّدًا قولي على قدر استطاعتي، بالصَّحيح من الأخبار والثَّابت من الأسفار؛ وبالكتابات المنقوشة على الأبواب والقباب والمنابر والجدران، ولقد توخّيت، بقدر الإمكان، أن يجيء الكتاب في أسلوب تفهمه العامّة وترضى عنه الخاصّة، وأن تتعاقب فيه الحوادث تعاقب السّنين والأيَّام.

إنّه فصل من فصول كتاب وضعته عن (تاريخ القدس)، وإنّي لمعترف بأنّي ما أتيت، في هذا ولا ذاك، بشيء من عندي، وإنّ كلّ ما فيهما منقول عن السّلف الصَّالح. اللهم إلّا بعض الحقائق التي قدر لي أن أطّلع عليها بنفسي، وبعض الآراء التي دونتها من أجل إيضاح نقطة غامضة.

فإذا كنت قد وُفّقت في عملي، ورأى فيه أبناء وطني ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، كان ذلك ما أبغي، وإلّا فليرشدوني إلى خطئي، عاذرين لا عاذلين، فإنّ أعقل النّاس أعذرهم للنّاس، والعصمة لله وحده؛ وليذكروا أنَّني ما قصدت من وراء عملي هذا سوى الخير لأمّتي وبلادي.

والله من وراء القصد.

عارف العارف

مسجد الصّخرة

•••

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد أن استشار المسلمين، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين. وعهد بإدارة العمل إلى اثنين من رجاله هما: رجاء بن حياة ابن جود الكندي أحد العلماء الأعلام في صدر الاسلام ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان. وعلى قول مجير الدين أن الموكل بالصرف رجاء، وأن هذا ضم إليه يزيد وولديه.

شرع البناؤون في البناء سنة ٦٦هـ - ٦٨٥ م وفرغوا منه سنة ٧٢ هـ - ٦٩١م . فبنوا في بادئ الأمر قبة السلسلة الكائنة شرقي الصخرة لتكون نموذجًا، ثم بنوا المسجد نفسه.

ولما كان قد بقي من المبالغ المخصصة للبناء مئة ألف دينار، فقد أمر عبد الملك بها جائزة إلى رجاء ويزيد. فرفضا قائلين: «نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا، فضلًا عن أموالنا فاصرفها في أحب الأشياء إليك.» فأمر بأن تسبك وتفرغ على القبة والأبواب. وهيأ لها جلالا من لبود وادم توضع فوقها. فإذا كان الشتاء ألبستها لتقيها من الرياح والأمطار.

ولقد حفت الصخرة يومئذ بدرابزين من الساسم. ومن خلف الدرابزين ستور من الديباج مرخاة بين العمد. وأقيم عليها عدد من السدنة. فراح الناس يصلون في داخل المسجد، ويطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة.

نقش اسم عبد الملك بن مروان على قناطر التثمينة الوسطى في الناحية الجنوبية الشرقية من الداخل وبالخط الكوفي المذهب. وإنك لواجد هناك كتابة مزخرفة بالفسيفساء على أرض لازوردية تقول: «بني هذه القبة عبدالله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين».

٢- ذهب بعض المؤرخين، ومنهم اليعقوبي سنة ٢٦٠هـ - ٨٧٤م إلى أن الغاية من بناء مسجد الصخرة بهذا الشكل البديع هي الاستعاضة عن الكعبة بسبب ثورة عبدالله بن الزبير الذي ثار على الأمويين وأعلن استقلاله في الحجاز (٦١ هـ - ٦٨٠ م). فأراد عبد الملك بن مروان أن يصرف الناس عن الكعبة خشية أن يأخذهم ابن الزبير عند الحج بالبيعة. وعلى قول أنه منعهم عن الحج بالمرة. واعتزم بناء مسجد الصخرة.

ومن المؤرخين من يرى أن عبد الملك بن مروان إنما بناه حتى يكون للمسلمين مسجدًا يضاهي في بهائه وخامته وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة. وخاصة أنه كان في سوريا وفلسطين يومئذ من الكنائس الكثيرة البالغة غاية العظمة ما خشي معه عبد الملك أن يظل المسلمون يتطلعون إلى هذه المنشآت المسيحية دون أن يكون لهم ما يفخرون به. فقد روى المقدسي الذي جاء بعد اليعقوبي بقرن والذي هبط بيت المقدس سنة ٣٧٤ هـ - ٩٨٤ م «أن عبد الملك عندما رأى قبة القيامة التي يحج إليها المسيحيون خشي أن تؤثر ضخامة هذه

الكنيسة على قلوب المسلمين. فاعزم أن يبني قبة مثلها أو أحسن. ونصب على الصخرة قبة كما ترى ».

٣- ومهما قيل في الغاية التي كان يهدف إليها عبد الملك بن مروان من وراء هذا البناء، فمما لا شك فيه أن استشار المسلمين في بنائه كما قلنا في مستهل البحث. ولكن أقوال المؤرخين تضاربت من حيث الردود التي حصل عليها. فلقد قرأت في مخطوط عثرت عليه في خزانة الأستاذ عيسى إسكندر المعاوف بعنوان (تاريخ الخلفاء المسلمين) ص ٩١ أن عبد الملك بن مروان عندما أعتزم بناء صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى قدم من دمشق إلى بيت المقدس. وبث الكتب في عمله كله إلى جميع الأمصار. وقال: أن عبد الملك يريد أن يبني قبة على الصخرة تكن المسلمين من الحر والبرد. ولا يريد أن يفعل ذلك دون رأي رعيته. فلتكتب إليه الرعية بما ترى. فوردت عليه الكتب قائلة: يرى أمير المؤمنين رأيه موفقًا سعيدًا. نسأل الله تعالى أن يتم له ما نوى من بناء بيته ومسجده، ويجري ذلك على يديه، ويجعله مكرمة ولمن مضى من سلفه تذكرة ».

هذا ما رواه المعلوف، وأظن أنه مأخوذ عن ابن البطريق.

وأما اليعقوبي (سنة ٢٦٠ هـ ٨٧٤ م) فإنه يقول أن المسلمين ضجوا عندما أدركوا الغاية التي يرمي إليها وهي صدهم عن الحج. فقالوا: أتمنعنا عن حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله. فقال لهم: ألم يحدثنا ابن شهاب الزهري أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (لا تشد

الرحال إلا إلى ثلاث: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى). ثم ذكر لهم كيف أنه أسري بالنبي إلى هذا المكان، وكيف أنه وضع قدمه على هذه الصخرة عندما صعد إلى السماء.

وبهذه الوسيلة تمكن من إقناعهم، ومضى في مشروعه العظيم، إلى أن تم له ما أراد.

٤- اختلف المؤرخون فما إذا كان عبد الملك قد استعمل في بناء مسجد الصخرة بعض الحجارة والأعمدة التي كانت في كنائس فلسطين. تلك الكنائس التي دمرها الفرس قبيل الفتح الإسلامي، أو في غيرها من الكنائس.

فروى ابن البطريق في تاريخه ما نصه:« وبأمر عبد الملك بن مروان قلعت قبة كانت للنصارى في كنيسة بعلبك، وهي من نحاس مطلي بالذهب. فنصبها على الصخرة».

وقال المستر ريشموند « أن مواد البناء كانت يومئذ متوفرة في البلاد، ولا سيما من بقايا الكنائس التي هدمها الفرس يوم احتلوا القدس عام ٦١٤ للميلاد. تلك البقايا التي كانت مبعثرة هنا وهناك».

وأما الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف الذي نقل عن ابن البطريق الرواية المتقدم ذكرها فقد قال أنها تحتاج إلى تمحيص. وقال المستر كرزويل أنه لا يشك في أن الذين بنوا مسجد الصخرة استفادوا من قياسات كنيسة القيامة. فإن قطر قبة الصخرة من الداخل ٢٠ مترًا و

٣٠ سانتمترًا وارتفاعها ٢٠ مترًا و ٤٨ سانتمترًا، وقطر قبة القيامة من الداخل ٢٠ مترًا و ٩٠ سانتمترًا وارتفاعها ٢١ مترًا و ٥ سانتمترات.

٥ - ومهما كان الأمر فإن مما لا ريب فيه أن مسجد الصخرة، بقبته الجميلة، وبنائه المتين، وتكوينه الرائع، جاء آية في فن الهندسة لا في العصر الذي بني فيه فحسب وإنما على مر العصور والأيام. فقد بهرت قبته بهائها ورونقها وخامتها وتناسقها كل من أنعم النظر فيها وحاول دراستها من العلماء والباحثين. وإنك لترى في هذا المسجد، وأنت تنظر إليه، جمال الهندسة العربية والذوق العربي ممتزجًا بشيء من الطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي. ولا ريب فقد أشترك في بنائه صناع من العرب والفرس والروم البيزنطيين.

قال الدكتور هارتمان Hartmann أن مسجد الصخرة نموذج من التناسق والانسجام. وقد أيده في وصفه هذا البحاثة الهولندي المعروف (فان برشم).

وقال الأستاذ هايتر لويس « أن مسجد الصخرة، بلا شك، من أجمل الأبنية الموجودة فوق هذه البسيطة. لا، بل أنه أجمل الآثار التي خلدها التاريخ».

قال المستر فرغوسن «إن مسجد الصخرة من الجمال على جانب عظيم. لقد زرت كثيرًا من القصور الفخمة والمباني الجميلة في الهند وفي أوروبا وفي أكثر أنحاء العالم. ولكني، على ما أذكر، لم أر ما هو أجمل،

ولا أبـدع، ولا أفخـم مـن قبـة الصخـرة. وأن التناسـب البديـع في الأحجـام والألـوان لم أجـده في أي بنـاء آخـر».

وقـال الكابـتن كرزويـل، أسـتاذ فـن العـمارة الإسـلامية بجامعـة فـؤاد الأول بالقاهـرة: «لقبـة الصخـرة أهميـة ممتـازة في تاريـخ العـمارة الإسـلامية. فقـد بهـرت بهائهـا ورونقهـا وفخامتهـا وسـحرها وتناسـقها ودقـة نسـبها كل مـن حـاول دراسـتها مـن العلـماء والباحثـين.»

٦- جـاء في (مثـير الغـرام بفضائـل القـدس والشـام) ص ١٠٠ أنهـم، عندمـا بنـوا قبـة الصخـرة، كانـوا في كل أثنـين وخميس يطحنـون الزعفـران ويمزجونه بالمسـك والعنـبر والمـاورد الجـوري. ويخمـرون هـذا المزيـج ليـلًا. وفي الغـداة يأمـرون الخـدام، فيدخـل هـؤلاء الحـمام، فيغتسـلون، ويتطهـرون. ثـم يرتـدون الثيـاب النظيفـة. ويأتـون إلى مسـجد الصخـرة حاملـين مـا تخمـر بالأمـس. وبعـد أن يغسـلوا الصخـرة، يأتـون بمجامـر الذهـب والفضـة فيهـا العـود والنـد الممـزوج بالمسـك والعنـبر. فيرخـون السـتور حـول الأعمـدة كلهـا. ثـم يحملـون البخـور، ويـدورون حـول الصخـرة. ثـم ينـادي المنـادي في صـف البزازيـن: ألا أن الصخـرة قـد فتحـت للنـاس. فمـن أراد الصـلاة فيهـا فليـأت.

وكان يقـف عـلى كل بـاب مـن أبـواب المسـجد عـشرة مـن الحجـاب. ومتـى دخلـه المصلـون شـموا رائحـة البخـور والمسـك والعنـبر.

٧- أصاب القبة ما أصابها منذ نصبت، وأصاب المسجد ما أصابه منذ بناه عبد الملك ابن مروان. فقد ألمت بهما تغيرات كثيرة بتأثير الزلازل والحرائق والرياح والأمطار، وبسبب الانقلابات السياسية والسرقات. وليس من المبالغة في شيء أن يقال أنه لم تحتل القدس أمة إلا وكان لها بعض الفضل في ترميمها.

٨- ففي زمن الوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ - ٧٠٥م) ضرب ما على القبة من ذهب نقودًا أنفقت على ترميم المسجد. هذا ما قاله الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف. وأما ابن الفقيه، وابن عبد ربه، والمقدسي، وغيرهم من المؤرخين الذين رأوا الصخرة بعد زمن الوليد بكثير؛ فقد وصفوها وصفًا يدل على أن الذهب بقي على القبة إلى زمن بعيد، كما سيجيء في الأسطر التالية.

٩ - لقد أصاب البناء شيء من الخراب في عهد الخليفة العباسي المأمون. فأمر بترميمه عندما زار بيت المقدس. ولما أنتهى العمال من الترميم (٢١٦هـ- ٨٣١ م) أرادوا أن يتزلفوا إليه، فاستبدلوا اسم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان باسمه. ولكنهم غفلوا عن تغيير السنة التي حدثت فيها العمارة. ترى كيف عرفنا ذلك؟

إن فـوق الأعمـدة التـي يقـوم عليهـا سـقف المسـجد حـول الصخـرة مـن الناحيـة الجنوبيـة إلى الـشرق خطًـا ضيقًـا مصنوعًـا مـن البـلاط الأزرق نقشـت عليـه بالأحـرف الكوفيـة المذهبـة الكلـمات الآتيـة:

« بنـي هـذه القبـة عبدالله، عبدالله الإمـام المأمـون أمـير المؤمنـين في سـنة اثنتـين وسـبعين تقبـل اللـه منـه ورضي عنـه آمـين.» لم يفطـن الصانـع إلى تغيـير التاريـخ. فقـد أبقـى سـنة ٧٢ هـ وهـي السـنة التـي أتـم فيهـا عبـد الملـك بـن مـروان البنـاء. ولم يذكـر السـنة التـي تـم ترميـم البنـاء فيـه عـلى يـد المأمـون (٢١٦ هـ - ٨٣١ م).

ثـم إنـه وجـد المـكان ضيقًـا بحيـث لا يتسـع لاسـم الخليفـة المأمـون وألقابـه. فاضطـر إلى كتابـة ذلـك بطريقـة تخالـف تلـك التـي كتبـت بهـا الكلـمات الأخـرى. أي أن الحـروف التـي كتـب اسـم المأمـون بهـا مزدحمـة متراصـة يختلـف شـكلها عـن الحـروف التـي سـبقتها. ثـم أن لـون الفسيفسـاء التـي جـرى بهـا التحريـف أشـد سـمرة مـن لـون الفسيفسـاء القديمـة.

لا صحـة للقـول القائـل بـأن جـدران المسـجد الخارجيـة بنيـت في زمـن المأمـون

وأن بنـاء عبـد الملـك بـن مـروان كان، كقبـة السلسـلة التـي أنشـئت لتكـون نموذجًـا لـه، مـن غـير هـذه الجـدران. فـإن المؤرخـين ومنهـم كرزوبـل وفـان برشـم وغيرهـما كثـيرون يرفضـون هـذا القـول المسـتند إلى الحـدس والتخمـين، لا إلى برهـان ودليـل. ويعتقـدون أن المسـجد الـذي بنـاه عبـد

الملـك كان منـذ البـدء ذا جـدران خارجيـة. وأمـا الكتابـة التـي وجـدت عـلى البابـين الشرقـي والشـمالي بأحـرف كوفيـة ذهبيـة بـارزة والتـي تحمـل اسـم المأمـون فإمـا أن تكـون قـد حرفـت في زمـن المأمـون، أو أنهـا ترمـز إلى الترميـمات التـي قـام بهـا المأمـون في جميـع أنحـاء المسـجد بوجـه عـام. وهـذا هـو الأرجـح.

يفهـم مـن هـذه الكتابـة أن تعمـير مسـجد الصخـرة تـم يومئـذ (٢١٦ هـ - ٨٣١ م) برعايـة ابي اسـحق عـلى يـد عاملـه صالـح بـن يحيـي.

١٠- وصـف ابـن الفقيـه الهمـذاني القبـة كـما رآهـا سـنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٢ م فقـال أنهـا مؤلفـة مـن طبقتـين الواحـدة داخـل الأخـرى، وأن الأخـيرة مغطـاة بصفائـح رصاصيـة تعلوهـا صفائـح نحاسـية مذهبـة.

١١- وزاد عـلى ذلـك ابـن عبـد ربـه القرطبـي الأندلـسي (٣٠٠ هـ - ٩١٢ م) فقـال أن قبـة الصخـرة كانـت مغطـاة بـ (٣٣٩٢) صفيحـة رصاصيـة. وعـلى هـذه (١٠،٢١٠) صفائـح مـن النحـاس المذهـب.

١٢ - وأمـرت ام المقتـدر العبـاسي (٣٠١ هـ - ٩١٣ م) بصنـع أبـواب قبـة الصخـرة مـن خشـب التنـوب.

١٣ - ولما زارها المقدسي (٣٧٤ هـ - ٩٨٤ م) قال:« القبة ذات ثلاثة أقسام:

الأول من ألواح مزوقة. والثاني من أعمدة حديدية شبكت لئلا تميلها الرياح. والثالث من خشب عليه الصفائح. وفي وسطها طريق إلى عند القضبان الحديدية يصعدها الصناع لتفقدها وترميمها. فإذا بزغت الشمس على القبة أشرقت، وتلألأت المنطقة ورأيت شيئًا عجيبًا».

ومضى المقدسي في وصفه يقول:« أن مسجد الصخرة بناء مستدير. تعلوه قبة مرتكزة على منطقة محاطة بست عشرة نافذة. محمولة على أربعة أركان من الرخام الأبيض، واثنى عشر عمودًا، بين الركن والآخر ثلاثة أعمدة. ويحيط بهذه الدائرة بناء مثمن الشكل طول كل ضلع منه ٢٠ مترًا و ٥٩ سانتيمترًا وعلوه تسعة أمتار ونصف. كلها مكسو بالرخام الأبيض المشجر والمرقش. ويحتوي كل ضلع على سبع طاقات: اثنتان في الطرفين مسدودتان والخمسة مركب عليها الزجاج. ومن ظاهرها الشبابيك الحديد. وهناك مثمن آخر بني بين الدائرة الداخلية وجدران المسجد الخارجية. ويعلو هذه التثمينة قناطر محمولة على ثمانية أركان مؤزرة بالرخام المشجر والملون وستة عشر عمودًا. وهذه الأعمده موزعة بحيث يعقب كل ركن عمودان. ويربط الأركان والأعمدة التي بينها بساطل ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش بالذهب. ويعلو البساطل قناطر كلها مزينة بالفصوص المذهبة البديعة والمزينة بأنواع التشجير والتنميق. وقد نصب على هذه سقف مائل من الخشب مصفح بالرصاص.»

١٤ - وفي خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي زلزلت الأرض (٤٠٧ هـ - ١٠١٦ م) فسقطت على أثرها بعض أجزاء القبة الكبيرة وقسم كبير من سور الحرم. فرممت في خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله (٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م) وكانت يومئذ مغطاة بالرصاص من الخارج وبالفسيفساء من الداخل. وقد تم تعميرها على يد (علي بن أحمد) المنقوش اسمه على الأخشاب الملصقة في صدغ الدهليز الذي في رقبة القبة. وقيل أن الحاكم بأمر الله نفسه هو الذي قام بتعميرها يومئذ. فأصلح القبة القديمة وضرب عليها قبة أخرى من الخشب لتقيها من عبث الأمطار وتأثير الأجواء.

١٥ - وفي سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م كثرت الزلازل في مصر والشام. فانثلم سور القدس، وانهدم أكثر المنازل، وهلك تحت الردم خلق كثير. وانشقت صخرة بيت المقدس.

١٦ - وفي أثناء الفتح الصليبي (١٠٩٩ م - ١١٨٧م) حول الصليبيون مسجد الصخرة إلى كنيسة. وبنوا على الصخرة مذبحًا وجعلوا فيه الصور والتماثيل. قال مستر ج . فن J. Finn في الصفحة ٢٤٨ من مذكراته أنهم اقتطعوا من الصخرة جانبًا بنوا فيه مذبحهم. وقال آخرون أنهم قطعوا منها قطعًا كثيرة حملوا بعضها إلى القسطنطينية والبعض الآخر إلى صقلية. وأما الكبتن كرزويل أستاذ فن المعمار الإسلامي في جامعة

فـؤاد الأول بالقاهـرة فإنـه يقـول:« كسـا الفرنـج، عـلى مـا روى ابـن الأثـير، الصخـرة بالرخـام. ذلـك لأن قساوسـة النصـارى في العهـود السـابقة كانـوا يقطعـون منهـا أجـزاء يبيعونهـا للحجـاج الذيـن يأتـون مـن وراء البحـار. وكان هـؤلاء الحجـاج يأخـذون قطـع الصخـرة هـذه معهـم إلى بلادهـم تـبركًا وتيمنًـا بهـا. وكان هـذا مصـدر ربـح كبـير لهـؤلاء القساوسـة. إذ كانـوا يبيعونهـا بوزنهـا ذهبًـا. فخـشي ملـوك الفرنـج أن تـزول الصخـرة إذا اسـتمر ذلـك طويـلًا، فكسـوها بالرخـام إبقـاء عليهـا.»

إن الحاجـز المصنـوع مـن الحديـد المشـبك والـذي يفصـل الصخـرة عـن المسـجد مـن صنـع الصليبيـين. وقصـارى القـول إنهـم أغرمـوا بـه وبقبتـه وتكوينـه الرائـع إلى درجـة أنهـم أتخـذوه نمـاذج، وبنـوا عـلى غـراره في أوروبـا كثـيرًا مـن كنائسـهم.

١٧- ولمـا احتـل صـلاح الديـن القـدس قـام بتعمـيرات كثـيرة: منهـا أنـه أزال معـالم الكنيسـة، ورفـع المذبـح، ومحـا الصـور والتماثيـل، وأزال عـن الصخـرة الرخـام الـذي كان الصليبيـون قـد كسـوها بـه اعتقـادًا منـه أن الرخـام المصطنـع يقلـل مـن جمالهـا الطبيعـي. ولقـد سـتر جـدران المسـجد بالرخـام. وزيـن القبـة مـن الداخـل بالنقـوش الجميلـة.

وإنـك لتقـرأ اليـوم في أسـفل القبـة مـن الداخـل فـوق أقـواس الدهليـز الـذي في رقبـة القبـة الكلـمات التاليـة: « بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم. أمـر بتجديـد تذهيـب هـذه القبـة الشريفـة مولانـا السـلطان الملـك النـاصر العـالم العـادل العامـل صـلاح الديـن يوسـف بـن أيـوب تغمـده اللـه

برحمتـه. وذلـك في شـهور سـنة سـت وثمانـين وخمسـمائة » ١١٩٠ م.

ثـم رتـب للمسـجد إمامًـا، وأقـام عـلى خدمتـه سـدنة، ووقـف عليـه دارًا وأرضًـا. وحمـل إليـه وإلى محـراب المسـجد الأقـصى عـددًا مـن المصاحـف الشريفـة تتـلى فهـا آيـات اللـه. وكان عـلى رأس القبـة صليـب كبـير مذهـب، فتسـلق المسـلمون واقتلعـوه.

١٨- ومـن ملـوك بنـي أيـوب الذيـن لهـم آثـار في مسـجد الصخـرة الملـك العـادل سـيف الديـن ابـو بكـر أخـو السـلطان صـلاح الديـن، والملـك المظفـر تقـي الديـن عمـر بـن شاهنشـاه، والملـك الأفضـل نـور الديـن عـلي، والملـك العزيـز عثـمان. فـإن الحاجـز الخشـبي الـذي يحيـط بالصخـرة نفسـها هـو مـن زمـن الملـك العزيـز عثـمان. وقـد ذكـر مجـير الديـن أن هـؤلاء كلهـم كانـوا يكنسـونها بأيديهـم. ثـم يغسـلونها بمـاء الـورد. كـما كانـوا، في مثـل هـذه المناسـبة، يوزعـون الصدقـات عـلى الفقـراء.

١٩- وقـد اعتنـى السـلطان الملـك الظاهـر بيـبرس بعـمارة المسـجد وجـدد فصـوص الصخـرة المشرفـة التـي عـلى الرخـام مـن الظاهـر (٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م)

٢٠ - وفي أيـام الملـك العـادل زيـن الديـن كتبغـا المنصـوري جـددت فصـوص الصخـرة (٦٩٤ هـ - ١٢٩٤ م).

٢١ - وفي زمن الملك الناصر محمد بن قلاون تجدد تذهيب قبة الصخرة (٧١٨ هـ - ١٣١٨ م) وإنك لتجد في أسفل رقبة القبة من الداخل فوق أقواس الدهليز الكلمات التالية:

« أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاون تغمده الله برحمته. وذلك في سنة ثمان عشرة وسبع مائة.» ١٣١٨ م.

٢٢ - إن أحسن وصف لمسجد الصخرة خلال القرن الثامن للهجرة نجده في كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمري الذي هبط بيت المقدس (٧٤٣ هـ - ١٣٤٢ م) ووصف الحرم القدسي وصفًا دقيقًا فرأينا من الفائدة أن ننقل عنه المقاييس والأوصاف التالية، قال:

«ارتفاع البناء المحيط بالصخرة ثمانية عشر ذراعًا، يعلو ذلك كرسي القبة، وارتفاعه عشرة أذرع وربع ذراع، ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلثا ذراع. في دوره ست عشرة طاقة من الزجاج المذهب.

البناء مثمن. كل تثمينة تسعة وعشرون ذراعًا وثلثا ذراع. وفي كل منها سبع طاقات: اثنتان في الطرفين مسدودتان، والخمس مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد.

البنـاء مـن ظاهـره مكسـو بالرخـام الأبيـض المشـجر عـلى ارتفـاع سـبعة أذرع، وسـبعة فوقهـا حتـى الميازيـب بالفـص المذهـب والمشـجر. والأعمـدة والحيطـان مـن الداخـل ملبسـة بالرخـام مـن غـير فـص. وكذلـك قـل عـن أرض الصخـرة والمغـارة فإنهـا مفروشـة بالرخـام.

للمسـجد أربعـة أبـواب، في كل جهـة بـاب. وأمـام البـاب القبـلي مـن الخـارج رواق مفـروش بالرخـام الأبيـض المشـجر طولـه مـن الـشرق إلى الغـرب واحـد وعـشرون ذراعًـا ونصـف ذراع، وعرضـه أربعة.

مـن عتبـة البـاب إلى وجـه الأعمـدة ثمانيـة أذرع وثلثـا ذراع. بأعلاهـا سـقف مدهـون بأنـواع الدهـان، ارتفاعـه خمسـة عـشر ذراعًـا، وهـو محمـول عـلى حائـط الصخـرة. كل تثمينـة مـن هـذا السـقف محمولـة عـلى سـاريتين ملبسـتين بالرخـام المشـجر والملـون البديـع. دور كل سـارية أحـد عـشر ذراعًـا وثلثـا ذراع. وطولهـا ثمانيـة أذرع وثلثـا ذراع. ومـع السـارية عمـودان: أحدهـما شـحم ولحـم والآخـر أخـضر مرسـيني. بـين كل عمـود والآخـر خمسـة أذرع. ودوره ذراعـان وثلثـا ذراع. وارتفاعـه خارجًـا عـن القواعـد سـتة أذرع ونصـف ذراع يعلوهـا بسـاطل ملبسـة بالنحـاس الأصفـر المذهـب. ويعلـو البسـاطل قناطـر بالفـص المذهـب.

في التثمينـة الأولى ثمـاني سـوار وسـتة عـشر عمـودا: عـشرة منهـا أبيـض وأزرق وثلاثـة أخـضر مرسـيني وثلاثـة شـحم ولحـم.

وتقيـس مـن قواعـد هـذه الأعمـدة عـشرة أذرع لتثمينـة ثانيـة عليهـا سـقف مذهـب. ارتفاعـه كارتفـاع السـقف الأول. والسـقف الـذي يعلـوه الرصـاص خمسـة أذرع مـن الباطـن.

وبآخر هذه التثمينة الدائرة الدرابزين المحيط بدور القبة، والحامل للقبة أربع سوار مربعة ملبسة بالرخام مثل الأولى. بين كل سارية وأخرى ثلاثة أعمدة من الرخام الشحم واللحم والأخضر المرسيني. يعلو ذلك قناطر من الوجهين: فص مذهب، والباطن رخام أبيض وأسود.

جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عمودًا: سبعة منها أخضر مرسيني، وخمسة شحم ولحم. دور العمود ثلاثة أذرع ونصف، وارتفاعه خارجًا عن القواعد سبعة أذرع وثلثا ذراع.

ارتفاع القبة الخشبية المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة سبعة واربعون ذراعًا. ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع. ومن ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف. والدور الحامل للقبة بالأعمدة والسواري مائة وثلاثة أذرع. والدرابزين الخشب الذي يحيط بالصخرة نفسها من جميع الجهات دوره أربعة وسبعون ذراعًا.»

٢٣ - وفي زمن الملك الظاهر برقوق جددت دكة المؤذنين. تلك الدكة الكائنة بجانب باب المغارة والتي تراها أمامك إذا ما دخلت المسجد من بابه القبلي. ويظهر أن هذه الدكة قديمة العهد، وأنه تم تجديدها

في زمن الملك الظاهر برقوق على يد نائبه بالقدس محمد بن السيفي بهادر الظاهري (٧٨٩ هـ - ١٣٨٧ م).

فقد قرأت على واجهتها القبلية الكلمات الآتية منقوشة بالذهب:

« بسم الله الرحمن الرحيم. جددت هذه السدة المباركة بالصخرة الشريفة في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبى سعيد برقوق خلد الله ملكه في نيابة المقر الأشرف العلائي الطنبغا الجوباني كافل الممالك بالشام المحروسة أعز الله أنصاره بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى المقر العالي المخدومي الناصري محمد ولد المقر المرحوم السيفي بهادر الفخري الظاهري نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف وناظر الحرمين الشريفين أعز الله انصاره بتاريخ مستهل شوال سنة تسع وثمانين وسبعماية.»

وفي زمن هذا الملك نفسه جددت عمارة القيسارية المعروفة بخان السلطان وهي وقف على الصخرة (٧٨٨ هـ - ١٣٨٦ م).

٢٤ - وفي زمن السلطان الملك الأشرف برسباي اشترى نائب السلطان بالقدس الأمير اركاس الجلباني للوقف ضياعًا رصد جانبًا منها لمصلحة الصخرة. ونقش بذلك رخامة الصقت بحائط الصخرة تجاه قبة المحراب (٨٣٦ هـ - ١٤٣٢ م).

رأيت هذه الرخامة مثبتة على بعد بضعة أمتار من باب الصخرة الشرقي إلى الجنوب.

وقد حكت، ويا للأسف، بعض كلماتها. ويظهر أن الذي فعل ذلك أحد الذين لهم مصلحة شخصية في ضياع معالم هذا الوقف.

السطران الأول والثاني محيا بالمرة. وقد ظهرت من بعدهما الكلمات التالية:

« ... الحرمين الشريفين أثابه الله الجنة. وهو مشتراه مما ثمره من مال الوقف ... من أجور المسقفات في كل شهر ألفا درهم خارجًا عن تكملة حواصل المستحقين وما جدده وانشأه من الحمام الخراب بحارة ..... وقرية العوجا والنعيمة بالغور ومرتب الخواجات الواردين (من) قمامه. وأوقف جميع المتحصل ذلك برسم عمارة المسجد الأقصى الشريف والصخرة الشريفة واوقافهما وما فيه يرصد حاصلًا بصندوق الصخرة الشريفة. أرصد ذلك جميعه برسم العمارة خالصًا ارصادًا صحيحًا شرعيًا بمقتضى المرسوم الشريف المعين تاريخه أعلاه. ورسم أن ينقش ذلك على الرخامة حسنة جارية في صحائف مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي خلد الله ملكه على الدوام ما تعاقبت الشهور والأعوام. فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه. اللهم من فعل هذا الخير وكان السبب فيه جازه بالجنة والنعيم، ومن غيره أو نقصه جازه بالعذاب الأليم.»

٢٥ - وفي أيام الملك الظاهر جقمق (٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م) حرق جانب من سقف الصخرة على أثر صاعقة نزلت من السماء. فركض الناس

لإطفاء الحريق. وقد قيل يومئذ أن الحريق لم يكن بفعل الصاعقة، وإنما كان بفعل بعض أولاد الذوات الذين دخلوا بين سقفي القبة ليتصيدوا الحمام. وكان معهم شمعة موقدة. أصاب شررها جانبًا من الخشب فاحترق.

كان ناظر الحرم يومئذ القاضي شمس الدين الحموي. ويظهر أن هذا رفع الأمر إلى الملك، فأنعم عليه بألفين وخمسمائة دينار ذهبًا ومائة وعشرين قنطارًا من الرصاص. عمر بها السقف، وأرجعه إلى أحسن مما كان عليه.

٢٦ - وفي زمن الملك الظاهر خوشقدم (٨٦٩ هـ - ١٤٦٤م) أراد ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين النشاشيبي أن يفك الرصاص عن ظاهر قبة الصخرة ويجدده كما فعل بالمسجد الأقصى. فمنعه الشيخ جمال الدين بن غانم شيخ الحرم. ويقول مجير الدين الذي أشار إلى هذا الحادث في كتابه (الأنس الجليل) حوالي سنة ٩٠٠ هـ «أن ذلك كان توفيقًا من الله. إذ أن الرصاص القديم الذي كان، أحسن من المستجد الذي عمل بالأقصى.»

٢٧ - وفي زمن السلطان الملك الاشرف قايتباي (٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) صنعت الأبواب النحاسية التي في مدخل الصخرة من الغرب.

٢٨ - ولننتقل الآن إلى عهد الأتراك العثمانيين، كي نرى ماذا تم على يدهم من تعمير مسجد الصخرة.

ما كان لفاتح القدس السلطان سليم وقت كاف لأن يقوم بأي عمل في هذا المسجد ولا في أية ناحية من أنحاء الحرم. لأنه كان منهمكًا بالفتح. وإنما في زمن ولده السلطان سليمان تمت تعميرات كثيرة. منها أنه عمر من جديد الباب الشمالي لمسجد الصخرة. وإنك لواجد على القوس الذي فوق الباب المذكور كتابة تدل على ذلك، كتبت بتاريخ ٩٤٥ هـ - ١٥٤٢ م.

وهو الذي وضع القسم الأكبر من الرخام والبلاط الصيني الموجود في جدران المسجد من الخارج. وكذلك قل عن أكثر النوافذ الجبصية الكائنة في هذه الجدران، فإنه جددها كما أن القاشاني البديع الموجود في قبة السلسلة وبعض القاشاني الموجود في جدران الصخرة من الخارج يرجع إلى زمن السلطان سليمان.

وفي كرسي القبة ست عشرة طاقة من الزجاج المذهب عليها نقوش تدل على أنها صنعت في زمنه (٩٤٥ هـ - ١٥٣٨ م).

لا نعلم بالضبط من الذي وضع الباب النحاسي الغربي؟ أهو السلطان سليمان الثاني؟ أم السلطان عبد الحميد الثاني؟ وإن كان الظن يغلب على أن هذا الباب من صنع عبد الحميد. وأما الأبواب النحاسية الثلاثة الأخرى فإنها من صنع سليمان، بدليل الكتابة الموجودة على كل واحد منها. وهنالك من يقول: إن الأبواب النحاسية الأربعة كلها من صنع قايتباى وقد تجددت على عهد السلطان سليمان.

وإنا لنقرأ في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس محضرًا موقعًا عليه من القاضي محمود الحنفى والمحتسب الحاج رجب بن القنياط جاء فيه «أن الاوسطة حضر وصحبته قطع نحاس صغار مدورة وقطع نحاس أكبر من الأولى مطاولة. وذلك لأجل أبواب الصخرة الشريفة. وهي مرسلة من مولانا سلطان الإسلام السلطان سليمان بن عثمان. وذلك على جمال متعددة على يد أناس متفرقة: عبيد بن جدوان، وعلى بن حامد، وعايد الحاج صالح، وأحمد بن ابي عظم، وحسن الزيدي.»

لم نعثر على نص يمكن الاستدلال به فيما إذا كان السلطان سليمان القانوني قد قام بأي عمل أساسي في قبة الصخرة خلا الأبواب وطاقات الزجاج التي سبق ذكرها. مع أن الكتابة الطويلة التى يراها الداخل إلى المسجد من بابه الشمالي المعروف بباب الجنة تبدأ بهذه الكلمات « قد جدد بحمده قبة الله من الصخرة ببيته المقدس ... السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنص والبرهان أبو الفتوحات سليمان خان ... فأعاد إليها ذلك البهاء ...»

٢٩- وقد وضع السلطان أحمد بن السلطان محمد خان في داخل مسجد الصخرة قنديلين كبيرين سلسالها من ذهب. مكتوب بأعلاهما اسم الله ومحمد وابى بكر وفي الوسط عمر وعثمان وعلي والحسن والحسين. وباسفلها اسم السلطان أحمد.

٣٠- وفي ربيع الأول ١٠٢٦ هـ - ١٦١٧ م سقط هلال الصخرة على أثر زوبعة شديدة. فأعيد تركيبه بعد أن تجدد قسمه الخشبي من الداخل.

٣١ - وفي ذى الحجة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م قام محافظ بيت المقدس قرة قولاق حاجي مصطفى باشا ببعض الترميمات الطفيفة فى هذا المسجد بمعرفة أحد أتباعه حسين آغا. كما استبدل بعض المصاحف المعدة لقراءة القرآن منذ القديم بمصاحف جديدة.

٣٢- وكذلك فعل المحافظ رجب باشا فقد اعتنى بمسجد الصخرة وقد أهمل في السنوات التي سبقته بسبب قلة السدنة المنصفين والنظار المصلحين والأمراء العادلين. فرمم بعض جوانبه وجدد قصارة المغارة التى تحت الصخرة. وفرشها بالبسط. وزينها بالثرياء. وقصارى القول أنه اعتنى بهذا المسجد عناية حملت الشاعر على إنشاد:

سقى الله دنيانا فاخصها

والعدل يفعل مالا يفعل المطر

٣٣- ومن ملوك بني عثمان الذين اهتموا بتعمير مسجد الصخرة السلطان محمود (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧م) والسلطان عبد المجيد (١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ م) والسلطان عبد الحميد (١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م).

٣٤- ففي زمن السلطان محمود (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م) تم تجديد بعض الرخام. يظهر هذا من كتابة تراها منقوشة على بلاطة سوداء

مصنوعة من الرخام وضعت بحذاء الباب القبلي من الخارج وقد كتبت بأحرف ذهبية نافرة وإليك نصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم. جدد تعمير هذا الرخام على النسق الحسن مولانا سلطان البرين وخاقان البحرين وخادم الحرمين الشريفين وهذا المسجد الأقصى أولى القبلتين الغازي المجاهد حضرة السلطان محمود خان نصره الله وأدامه وخلد ملكه وأوطانه وقرن بالتوفيق أحكامه ونشر على الخافقين بالعدل.. وذلك على يد الوزير الشهير المأمور بالأمر العالي الدستور الموقر صاحب البر والخير سعاد تلو الحاج سليمان باشا بلغه الله ما شاء وإلى الشام دام إجلاله وذلك في ثلاث وثلاثين ومايتين وألف.»

٣٥- وفي زمن السلطان عبد المجيد (١٢٧٠ هـ -١٨٥٣ م) تولت الحكومة العثمانية ترميم مسجد الصخرة. قال المستر ريشموند نقلًا عن رجال البطريركية الأرمنية بالقدس « أن هذا الترميم جرى بإرشاد مهندس أرمني خبير ببناء القباب اسمه (قرابت). وقد جاء هذا من الآستانة خصيصا لهذه الغاية، مستحضرًا معه عددًا من الصناع الأخصائيين أكثرهم من الأرمن. فقام بتقوية القبة، ورمم بعض النقوش والتزيينات الداخلية.»

٣٦ - وفي سنة ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤م وعلى عهد السلطان عبد العزيز أعيد إنشاء قسم كبير من السقف الخشبي للبناء المثمن الأضلاع. وقد حاول

المهندسون يؤمئذ تعمير الفراغ الذى حدث مع الزمن بين الفسيفساء، لا بحجارة مربعة من الفسيفساء وإنما بقصارة المواضع الفارغة بالجبصين وتلوينها بألوان تشبه الفسيفساء.

حتى أن أحد الصناع كتب خفية بين الفسيفساء الدعاء التالي:« يا رب أحفظ عبدك إبراهيم الطويل وأولاده.»

ولقد تم في التاريخ نفس نفسه، تجديد رصاص الصخرة الخارجي. ووضعت الثريا الكبيرة بين الباب القبلي ودكة المؤذنين.

ويقول المستر ريشموند نقلًا عن الشيخ خليل الدنف الأنصاري أن المرمر المفروش في أرض جامع الصخرة وحول قواعد الأعمدة الكائنة في وسط الجامع وضع في ذلك التاريخ. وفي هذا التاريخ ركبت شبابيك من الزجاج المختلف الألوان في كثير من نوافذ الصخرة. وتم تعمير البلاط المرمر الذى يكسو القسم السفلي من الجدران الداخلية. وأما الرخام الذي في القسم العلوي من هذه الجدران وهو معرق تعريقًا جميلًا فإنه من زمن عبد الملك بن مروان.

٣٧ - أنا لا ندري بالضبط ما هي الأعمال التي تمت في عهد السلطان عبد الحميد داخل مسجد الصخرة، سوى أن هذا السلطان أرسل أكثر السجاجيد العجمية الموجودة في المسجد ونصب الثريا المعلقة فوق الصخرة. وجدد عمارة الباب الغربي. وإنك لتقرأ الكلمات الآتى ذكرها

منقوشة على بلاطة طويلة وضعت فوق الباب المذكور:« قد جدد الملك التقي سلطاننا عبد الحميد. ذا الباب والكاتب مع تثقيفها صحن الوطيد.» وبحذائها الكلمات التالية:« بأمر عبد صادق صفى محمد مير سعيد.»

والسلطان عبد الحميد هو الذي أمر بكتابة سورة (يس) التي تراها حول الصخرة، في أعلى التثمينة من الخارج. والذي كتب تلك السورة (١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م) هو السيد محمد شفيق. كتبها بالخط المعروف بـ (الثلث) على افريز عرضه خمسة وسبعون سانتمترًا وبأحرف عرض الواحد منها ثلاثة سنتمترات. إن هذه السورة مطبوخة على القاشاني طبخًت وليست مدهونة. والقاشاني الذي طبخت عليه من صنع مصطفى علي أفندي. هناك من يعتقد أن سورة (الاسراء) أيضًا، تلك السورة المكتوبة على رقبة مسجد الصخرة من الخارج، كتبت في زمن السلطان عبد الحميد. غير أن هذا الاعتقاد مشكوك فيه. والمرجح أنها كتبت في عهد السلطان صلاح الدين. كتبت بالخط المعروف بـ (الثلث) المشجر البسيط. واحرفها مصنوعة من الرخام المحشو بالقاشاني حشوًا.

٣٨ - طرأ على قبة الصخرة، مع تقادم العهد ومرور الزمن، خلل من جراء تسرب مياه الأمطار إلى داخل جدرانها؛ فتحللت مؤونة

البناء وتطرق الضرر إلى الفسيفساء فسقط جزء منها. ومن جراء الماء المتسرب بكثرة إلى جوف الجدران حدثت رطوبة أثرت في الرخام داخل القبة وخارجها، فتفكك معظمه وأوشك على السقوط.

خشي المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة المفتي الأكبر الحاج أمين أفندي الحسيني عاقبة الأمر. واستنجد بوزارة الأوقاف المصرية، التي انتدبت عام (١٩٣٦) المرحوم محمود أحمد باشا مدير دار حفظ الآثار العربية. وبعد الكشف والبحث والتدقيق رفع هذا (١٩٣٧) تقريره إلى المجلس قال فيه: أن معظم النار من مستصغر الشرر. إذ وجد أن الميازيب المعدة لصرف مياه الأمطار الساقطة على السطح أو الكرسي الذي ترتكز عليه القبة مركبة بشكل يحول دون تصريف الماء إلى الخارج. أنه لو أعتني بهذه الميازيب ونظفت بين آونه وأخرى لما وصلت إلى هذه الدرجة من العطب، ولما استهدف هذا الأثر الإسلامي العالمي الجميل لمثل هذا الخطر. أضف إلى هذا أن بعضها كان مسدودًا بالأتربة وقطع الحجارة وروث الحمام، والبعض الآخر متآكل.

والرصاص الذي يكسو السقف من الخارج ذاب قسم منه، وكاد القسم الآخر يذوب بفعل العواصف والأمطار.

والرخام الذي يكسو مسجد الصخرة من الداخل والخارج أصبح من الوهن والقدم إلى درجة أن معظمه أمسى على وشك السقوط .... وكثير من ألواح الرخام التي تستر الأقواس (العقود) وتتوسط الرواقين المحيطين بالصخرة مفككة... والافريز المذهب الكائن في قاعدة الشبابيك العليا بكرسي القبة محمول على قضبان أفقية من

الحديد طولها نحو من اربعين سنتمترًا، داخل كل منه في البناء عشرة سنتمترات. وقد تأكل الجزء الداخل في البناء من القضيب الحديدي فعجز عن تأدية وظيفته وهي حمل الافريز إلى درجة أن المهندسين يومئذ سحبوا باليد وبكل سهولة بعض هذه القضبان. وهذا أكبر ضرر شوهد في البناء.

وأما الفسيفساء فوجدوها اسمًا بلا مسمى. إذ كان ما يقرب من ثلث الفسيفساء الأصلية قد عفى وقسم منها أعيد بصورة مزيفة: طلاء بالجص تكسوه نقوش بالزيوت والأصباغ بشكل يشبه الفسيفساء الأصلية.

واللحامات بين ترابيع القاشاني القديم كانت واسعة إلى درجة أن المونة التي استعملت في لصقها وهي الجبص أصبحت، مع الزمن، غير صالحة. والقاشاني الجديد الذي وضع في العهود الأخيرة لم يربط بكانات نحاسية يجعلها كأنها لوح واحد.

والمكانات أو القطع الحديدية الصغيرة التي استعملها المهندسون القدماء لربط قطع الأحجار على أمل أن تزيد في تماسك البناء سببت ضررًا خطيرًا في القبة.

وكان من جراء ذلك كله أن تسرب جانب كبير من ماء المطر إلى الجدران فأدى إلى الخراب الذي شوهد في الفسيفساء، وفي رخام الجدران، وعلى الأخص الجدار الذي يؤلف الضلع الغربي. وكان من جراء ذلك أيضًا أن خلع أكثر القاشاني الذي كان في هذا الضلع. وليت

الـضرر ظـل منحـصرًا في الواجهـة الخارجيـة لكنـه أمتـد إلى نفـس البنـاء، فـإذا بمونتـه الجبصيـة قـد انحلـت وتفسـخت.

عالـج محمـود أحمـد باشـا مسـألة الميازيـب بفتـح المسـدود واسـتبدال البالي منهـا بميازيـب جديـدة مـن الحديـد المجلـون (١٩٣٨). وسـد اللحامـات التـي تربـط صفائـح الرصـاص في المواطـن التالفـة، وطـلى الرصـاص الضعيـف بأنـواع مـن الطـلاء الزيتـي ذي اللـون الفاتـح. وبهـذا انقطـع تـسرب المـاء، وحيـل دون وقـوع خطـر عاجـل.

ولقـد جـدد المجلـس الإسـلامي الأعـلى وقتئـذ عشريـن نافـذة داخليـة مـن نوافـذ الجبـص الملونـة بالزجـاج.

واتخـذ التدابـير اللازمـة لوضـع قاشـاني جديـد بـدلًا مـن القاشـاني السـاقط والمتكـسر، وذلـك في الضلـع الشـمالي الغـربي فقـط. وأمـا في الأضـلاع الأخـرى فـلا بـد مـن مـضي وقـت طويـل لصنـع قاشـاني جديـد بالقـدس، واسـتيراده مـن الخـارج. وتـم تثبيـت الرخـام في بعـض أنحـاء القبـة تثبيتًـا جعلـه في مأمـن مـن السـقوط. وأمـا الفسيفسـاء فلـم يسـتطيعوا إصلاحهـا. ذلـك لأن الفصـوص الزجاجيـة الملونـة والذهبيـة اللازمـة لعمـل فسيفسـاء جديـدة وإصـلاح الفسيفسـاء القديمـة لا يمكـن الحصـول عليهـا إلا مـن ايطاليـا. ولأسـباب نجهلهـا أوقـف السـير في هـذا المـشروع (١٩٣٨).

هـذه تدابـير مؤقتـة قـام بهـا المجلـس الإسـلامي الأعـلى. وكان في النيـة القيـام بتدابـير أوسـع وأمـتن غـير أن الحـرب الكونيـة الثانيـة التـي أعلنـت سـنة ١٩٣٩ وقلـة مـوارد المجلـس الماليـة حالـت دون التوسـع في مـشروع

تعمـير قبـة الصخـرة بالشـكل الـذي يتمنـاه المخلصـون.

٣٩- وفي سـنة ١٩٤١ فحصـت القبـة مـن جديـد فوجـد أن حالتهـا تسـير مـن سيء إلى أسـوأ، الأمـر الـذي يبعـث عـلى الأسـف الشـديد، ويجعـل المخلصـين يتمنـون أن لـو يفكـر العـالم الإسـلامي بتعمـير هـذا الأثـر الإسـلامي الجليـل قبـل أن يشـتد العطـب ويتسـع الخـرق. فننـدم، ولات حـين منـدم.

٤٠ - دخلـت مسـجد الصخـرة في حيـاتي مـرارًا. فكثـيرًا مـا لعبـت في فنائـه الواسـع في صغـري وكثـيرًا مـا صليـت في ارجائـه في كـبري. ولا غـرو فـإني أبـن القـدس. ولـدت فهـا. والـدار التـي أبـصرت النـور فيهـا لأول مـرة كائنـة عـلى مقربـة مـن الحـرم إلى الغـرب، في حـى مـن أحيـاء القـدس القديمـة (الـواد).

ولكنـي أود أن أعـترف الآن أني مـا أدركـت قيمـة هـذا الأثـر التاريخـي العظيـم إلا بعـد أن شرعـت في تدويـن تاريـخ القـدس، ورحـت اتنقـل في ردهـات الحـرم مـن مـكان إلى مـكان باحثًـا مسـتقصيًا.

٤١- وإليـك وصـف هـذا المسـجد كـما رأيتـه فى اليـوم الرابـع والعشريـن مـن شـهر نيسـان سـنة ١٩٤٥:

قبل كل شيء أريد أن أقول أن المقصود من (مسجد الصخرة) الصخرة نفسها، والقبة التي فوقها، والرواق الذي حولها. وإن هذا المسجد واقع في وسط فناء واسع مرتفع عن أرض الحرم بمقدار سبعة أذرع. أما القبة نفسها فإنها مستديرة قطرها ٢٠،٤٤ مترًا وارتفاعها ١٠٥ أقدام. وهي مؤلفة من طبقتين خشبيتين: طبقة فوقانية وهي مكسوة من الظاهر بصفائح الرصاص وأخرى تحتانية يراها الرائي وهو في داخل المسجد. كتبت عليها، في موضع قريب من القمة، آية الكرسي بماء الذهب. وهذه الطبقة مزخرفة بمجموعة من الفصوص الذهبية الملونة التي لا نظير لها في معابد الشرق، حتى ولا في الغرب. وبين الطبقتين خلاء متسع. كما أن بينهما طبقة خفيفة من اللباد وضعت خصيصًا لمنع الحرارة في الصيف خشية الحريق.

وتحت القبة تقوم الصخرة المشرفة. طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠ مترًا، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠ مترًا، وارتفاعها عن الأرض يتراوح بين المتر والمترين. حولها درابزين من الخشب المنقوش والمدهون بأنواع الأصباغ والدهون وضع في زمن الملك العزيز عثمان الأيوبي. وحول هذا الدرابزين مصلى للنساء له أبواب أربعة. ويفصل بين هذا المصلى ومصلى الرجال قضب حديدية هي التي قلنا إنها من صنع الصليبيين.

وتحت الصخرة مغارة ينزل إليها من الجهة القبلية بإحدى عشرة درجة. إنها قريبة من المربع. طول كل جانب منها ٤,٥٠ مترًا ولها سقف ارتفاعه ثلاثة أمتار، وبه فتحة سعتها متر. وعند الباب قنطرة

مقصورة بالرخام على عمودين. وبباطنها محرابان. كل محراب على عمودين من رخام. وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى (مقام الخضر). وفي الركن الشمالي منها صفة تسمى (باب الخليل). وأرض هذه المغارة مفروشة بالرخام. وكذلك قل عن أرض المسجد كلها.

إن قبة الصخرة مرفوعة على كرسي عال يسمونه (الرقبة) كتبت عليه من الداخل سورة طه بماء الذهب. وفي هذا الكرسي ست عشرة نافذة من الزجاج المذهب. بعضها من صنع الفنيقيين القدماء. تنفذ منها أشعة الشمس. تعلو كل واحدة منها طبقة من الجبص مقسمة عيونا، ومغطاة بقطع من الزجاج المختلف الألوان والأشكال.

وهذا الكرسي مرفوع على إثنى عشر عمودًا من الرخام، وعلى أربع أساطين (سواري) في غاية من الإحكام والإتقان. بين كل ثلاثة أعمدة أسطوانة (سارية) مربعة طول كل ضلع من أضلاعها الأربعة ثلاثة أمتار. وهي مكسوة بالرخام الأبيض المعرق.

وأما البناء الذي حول الصخرة فإنه بناء فخم مثمن الأركان. وهو مكون من تثمينتين: تثمينية خارجية هي التي تتكون منها جدران المسجد. وأخرى داخلية مرفوعة على أعمدة وأساطين. أما التثمينة الخارجية فطول كل ضلع من أضلاعها الثمانية ٢٠،٩٥ مترًا وارتفاعه ٩،٥٠ أمتار. هذا عدا الحائط العلوي (أي الدورة) ٢،٦٠ متران. في الجزء العلوى من كل ضلع من أضلاع هذه التثمينة سبع نوافذ: خمس ينفذ منها النور، واثنتان مسدودتان. إلا الأضلاع التي فيها الأبواب، فإن في كل ضلع منها أربع نوافذ فقط: إثنتان عن اليمين وأخريان عن

اليسار. ينفذ النور منها كلها.

وأما الأضلاع التي ليست فيها أبواب فإن في الجزء السفلي منها شباكًا كبيرًا، يفتح ويغلق حسب المزوم.

وقصارى القول إن مجموع النوافذ في جدران المسجد ست وخمسون نافذة: أربعون ينفذ النور منها. وفوق كل نافذة من هذه النوافذ المفتوحة والمسدودة آية قرآنية.

وأما التثمينة الداخلية وهي الواقعة بين جدران المسجد والأعمدة الحاملة للقبة فإنها هي التي يرتكز عليها السقف. وهي مكونة من طارات محمولة على ثماني أسطوانات ملبسة بالرخام، وستة عشر عمودًا مختلفة الألوان. بين كل عمودين أسطوانة. وإنك لترى فوق أقواس التثمينة الوسطى افريزًا كتب عليه بالخط الكوفي المذهب سورة النساء.

وبين التثمينتين، الخارجية والداخلية، رواق للصلاة. وكذلك قل عن الرواق الكائن بين التثمينة الداخلية والدائرة الحاملة للقبة.

والأعمدة قديمة جدًا، ومتينة للغاية. وهي من النوع المعروف بالغرانيت. وتيجان أكثرها تدل على أنها من الطراز الروماني أو البيزنطي. ويعتقد بعض مؤرخي الفرنجه أن عمال عبد الملك أتوا ببعضها من كنيسة قسطنطين التى دكها الفرس (٦١٤ م). وهناك من يقول أن عمال عبد الملك عثروا على عدد كبير منها في نفس المكان الذى بنوا فيه مسجد الصخرة. وذلك عندما حفروا الأساس ونزلوا في قعر الأرض مسافة عميقة. ويظن أنها من عهد هيرودس الملك.

وتحمل هذه الأعمدة مع جدار المسجد سقفًا مدهونًا بأنواع الدهان قائمًا على قناطر مرصعة بالفصوص الذهبية، ومتصلًا طرفه بكرسي القبة. القسم السفلي من البناء مكسو من الخارج بالرخام الأبيض. والقسم العلوي مكسو بالقاشاني البديع. أما من الداخل فإن الجدران كلها مكسوة بالرخام ويعلو القاشاني من الخارج افريز رسمت عليه سورة يس. كتبت هذه السورة في زمن السلطان عبد الحميد الثاني كما ذكرنا في غير هذا الموضع. ولمسجد الصخرة أربعة أبواب مزدوجة مصنوعة من الخشب ومكسوة بصفائح من الرصاص. فالباب الشرقي تجاه قبة السلسلة ويسمى (باب إسرافيل)(أو باب داود). والباب الغربي هو الذي يقابل باب القطانين. والباب الشمالي هو المعروف بباب الجنة. والباب القبلي هو المقابل لمسجد الأقصى. أمامه رواق مفروش بالرخام طوله ١٦ مترًا وعرضه ٣ أمتار. وعن يمين الداخل من هذا الباب المحراب. وتقابله دكة المؤذنين. وهي قائمة على عشرة أعمدة من الرخام ومتوجة ومدهونة بماء الذهب. وفي كل باب من الأبواب الأربعة المتقدم ذكرها عضائد وأعمدة من رخام. ولقد بنى البناؤن مسجد الصخرة بشكل «جعل في مكنة من يدخله من أي باب من أبوابه أن يرى جميع ما فيه من الأعمدة والاساطين التي أمامه مباشرة والتي في الجهة الأخرى المقابلة لها، لا يحجبها عن نظره شيء. وذلك بإيجاد انحناء بسيط في دائرة دعامات القبة يبلغ درجتين ونصف درجة حسب قياس العالم ريشموند وثلاث درجات حسب قياس الكابتن كرزويل. ولو لم يكن هناك هذا الانحناء لحجبت الأعمدة الواقعة أمام الرائي الأعمدة الأخرى المقابلة لها في الطرف

الآخر. لأنهما يكونان في هذه الحالة واقعين على خط مستقيم واحد.»

ولقد ذكرنا، في غير هذا المكان، أكثر الآيات القرآنية والكتابات المنقوشة على جدران هذا المسجد وفي أبوابه سواء من الخارج أو الداخل. وذلك عند ذكر الملوك والأمراء والحكام الذين كتبت على عهدهم، وفي التواريخ التي تم نقشها فيها.

٤٢ - وهناك كتابات أخرى، وهي الآتية، لم نستطع أن نجزم في أي تاريخ نقشت: هناك على جدار المسجد من الخارج بين الباب الشمالي والباب الشرقي الكتابة التالية:« قل الله في محكم كتابه العزيز إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين.»

« أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون.»

وفوق قوس الباب الشرقي:« بسم الله الرحمن الرحيم. أنا مدينة العلم وعلى بابها. لا إله إلا الله إيمانًا وصدقًا. الله الباقي.»

وعلى دفتي الباب الشرقي المذكور:« يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى.»

وفـوق قوس الباب القبلي للصخرة:

« ومـا جعلنـا القبلـة التـي كنـت عليهـا إلا لنعلـم مـن يتبـع الرسـول ممـن ينقلـب عـلى عقبيـه وإن كانـت لكبـيرة ألا عـلى الذيـن هـدى اللـه ومـا كان اللـه ليضيـع أيمانكـم إن اللـه بالنـاس لـرءوف رحيـم. قـد نـرى تقلـب وجهـك في السـماء، فلنولينـك قبلـة ترضاهـا، فـول وجهـك شـطر المسـجد الحـرام وحيـث مـا كنتـم فولـوا وجوهكـم شـطره. وإن الذيـن أوتـوا الكتـاب ليعلمـون أنـه الحـق مـن ربهـم، ومـا اللـه بغافـل عـما يعملـون. ولـئن أتيـت الذيـن أوتـوا الكتـاب بـكل آيـة مـا تبعـوا قبلتـك ومـا أنـت بتابـع قبلتهـم، ومـا بعضهـم بتابـع قبلـة بعـض. ولـئن أتبعـت أهواءهـم مـن بعـد مـا جـاءك مـن العلـم إنـك إذا لمـن الظالمـين.»

المسجد الأقصى

•••

٤٣- بعد أن بني عبد الملك بن مروان قبة الصخرة سنة ٧٢ هـ - ٦٩١ م بني المسجد الاقصى ٧٤ هـ - ٦٩٣م.

ذكر المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) أن باني المسجد هو عبد الملك بن مروان. وأيده في قوله هذا أكثر المؤرخين في القرنين الثالث والرابع للهجرة. وهناك من يقول أن باني المسجد هو الوليد بن عبد الملك الذى إنتهى إليه الحكم سنة ٨٦ هـ - ٧٠٥م. ويستدل هذا الفريق على صحة قوله بما جاء في الرسائل التي كتبها (قرة بن شريك) عامل الأمويين على مصر في عهد الخليفة الوليد إلى أحد حكام الصعيد بين سنتي ٩٠ و ٩٦ للهجرة. تلك الرسائل التي كتبت على ورق البردى والتي ورد فيها ذكر الأقصى. وفيها طلب (قرة بن شريك) من أحد حكام الصعيد أن يرسل إليه صناعًا ماهرين لمسجد بيت المقدس.

قال العمري في كتابه (التعريف) عن الوليد أنه نقل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق، ومنها إلى القدس ومكة والمدينة ليزين بها جدران المساجد.

وإني ميال للاعتقاد بان البناء قد شرع فيه زمن عبد الملك بن مروان (٧٤ هـ - ٦٩٣ م) وتم في زمن ابنه الوليد (٨٦ هـ - ٧٠٥ م). ومهما كان الأمر فمما لا شك فيه أنه هو الذي غشى قبة الأقصى بالنحاس. وهذا أخذ من كنيسة في بعلبك.

قال المستر كرزويل K .A .C. Crewell مفتش الآثار في حكومة فلسطين أنه كان هناك، في الموضع الذى يقوم عليه الأقصى الآن، مسجد بناه عمر بن الخطاب سنة ١٤ هـ - ٦٣٥م.

وحذا حذوه آخرون فقالوا :« أن عبد الملك بن مروان بنى المسجد الأقصى في الموضع الذي كان يقوم عليه مسجد عمر من الناحية الشرقية، وأن هذا المسجد كان محاذيًا للسور الشرقي، وقد تم بناؤه في السنة الثامنة عشرة أو السنة الحادية والعشرين للهجرة. وكان يتسع لثلاثة الآف من المصلين. كان سقفه من خشب، وقد أندثرت آثاره مع الزمن.» ولقد ضرب على هذا الوتر كثيرون من المؤرخين المسلمين فقالوا أن المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب يوم الفتح أقيم في المكان الذى فيه المسجد الأقصى الحالي أي في الطرف الجنوبي من ساحة الحرم.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن المسجد الأقصى بني في الموضع الذي كانت تقوم عليه الكنيسة التي بناها الإمبراطور البيزنطي جوستانيان (٥٤٣ م) وإن أسم المهندس الذي هندسها (تيودوروس). ومنهم من تجاوز هذا إلى حد القول بأن المسجد الأقصى هو نفسه الكنيسة إياها لا قدم ولا أخر. وكانت، على قول هؤلاء، تدعى يومئذ (كنيسة العذراء الجديدة) لأجل التفريق بينها وبين كنيسة بنيت بهذا الاسم قبل ذلك التاريخ. وكانت هذه (أي القديمة) عند كنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الغربية. وأما المؤرخ جيمس فرغسون James Fergusson فقد أنكر هذا القول في الصفحة ١١٨ من كتابه: An Essay on The Ancient

Topography of Jerusalem إذ قال : «إن المسجد الاقصى ليس بكنيسة جوستانيان، ولا صحة أيضًا للقول القائل أنه بني في الموضع الذي كانت تقوم عليه تلك الكنيسة. فلا القناطر ولا العقود التي تحمل الأقصى ؛لا، ولا الأعمدة والتيجان التي فوق الأعمدة من النوع الذي كان معروفًا على عهد جوستانيان. وبناء المسجد نفسه لا يشبه أية كنيسة من الكنائس التي بنيت في ذلك العهد. ولم يكن لاية كنيسة من الكنائس التي بنيت في تلك العهود قبة كقبة المسجد الأقصى.

قال اوتيخيوس:« أن النصارى لم يبنوا أية كنيسة في منطقة المسجد الأقصى بسبب غضب السيد المسيح على تلك المنطقة ودعائه عليها بالخراب.» ولم يذكر التاريخ أن المسلمين سلبوا النصارى أية كنيسة من كنائسهم في أثناء الفتح الإسلامي. ولو فعلوا ذلك لأقام المؤرخون المسيحيون الضجيج وانتقدوا أعمال المسلمين. ولكن العهدة العمرية التي أعطاها عمر بن الخطاب إلى نصارى ايلياء تشهد بعكس ذلك.

٤٥ - ومهما كان الأمر فإن هندسة المسجد الأقصى مقتبسة من الهندسة اليونانية وممزوجة بالهندسة الإسلامية.

٤٦- لم يبق المسجد الأقصى على حاله الأول. بل طرأت عليه مع الزمن تغيرات كثيرة بسبب الزلازل والانقلابات السياسية. فقد روى عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت عن أبيه عن جده أن الأبواب كلها كانت في خلافة عبد الملك بن مروان ملبسة بصفائح الذهب والفضة.

٤٧- ولما قدم أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقع بسبب الزلزلة (١٣٠ هـ - ٧٤٧ م) أمر بقلع الصفائح الذهبية والفضة التي كانت على الأبواب. فضربت دنانير ودراهم وأنفقت عليه حتى فرغت (١٥٤ هـ - ٧٧١ م). ثم حدث زلزال آخر سنة (١٥٨ هـ - ٧٧٤ م) فوقع البناء الذي كان أمر به أبو جعفر المنصور.

٤٨ - ولما قدم المهدي من بعده كان المسجد خرابًا. فأمر ببنائه وقال: « رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال. انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه » فتم البناء في خلافته (١٦٣ هـ - ٧٨٠م).

لسنا ندرى كيف كان تخطيط الأقصى في أدواره الأولى. إلى أن جاء المقدسي في القرن الرابع الهجري (٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م)ووصف لنا في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) تخطيطه أيام المهدي. ويؤخذ من وصفه ذاك أنه كان يتكون من رواق أوسط كبير يمتد من الشمال إلى

الجنوب، يغطيه، جملون، وينتهي من الجنوب بقبة عظيمة. وتكتنف الرواق الأوسط من كل من جانبيه سبعة أروقة موازية له وأقل ارتفاعًا منه، محمولة عقودها جميعًا على أعمدة أسطوانية. ويتوسط الواجهة الشمالية باب كبير كان يسمى(باب النحاس الأعظم) يؤدي إلى الرواق الأوسط رأسًا. وعلى كل من يمينه ويساره سبعة أبواب يؤدي كل منها إلى رواق من الأروقة الجانبية المتقدم ذكرها.

٤٩ - وحدث زلزال آخر فى ١٠ محرم سنة ٤٢٥ هـ (١٠ كانون الأول ١٠٣٣ م) خرب المسجد الذى عمره المهدي خرابًا ظاهرًا. فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله في السنة التالية (١٠٣٤م) مبقيًا ما أمكن إبقاؤه من البناء السابق. ولم يغير من تخطيطه العباسي سوى تضييقه من الشرق والغرب بحذف أربعة أروقة من كل جانب. فأصبح يكتنف الرواق الأوسط الكبير ثلاثة أروقة فقط من كل جانب. والمعتقد أن القبة الحالية والأبواب السبعة التي في شمال المسجد هي من صنع الظاهر لاعزاز دين الله. وتحتوي الفسيفساء الذهبية التي تحلى الواجهة الشمالية للعقد الذي يحمل القبة كتابة بالخط الكوفي تشير إلى ذلك التجديد هذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله. جدد عمارته مولانا علي أبو الحسن الأمام الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم

بأمـر اللـه صلـوات اللـه عليـه وعـلى آبائـه الطاهريـن وأبنائـه الاكرمـين، عـلى يـد أبي محمـد الحسـن بـن عـلى بـن عبـد الرحمـن أثابـه اللـه، وتـولى ذلـك الشريـف أبـو القاسـم بـن أبي الحسـن الحسـين سـنة ٤٢٧ أعانـه اللـه.»

٥٠- وصـف نـاصري خسرو (٤٣٩ هـ - ١٠٤٧م) المسـجد الأقـصى، فقال:«كان فيـه يومئـذ مئتـان وثمانـون عمـودًا عـلى عشريـن صفًا.»

٥١ - وفي سـنة ٤٥٨ هـ - ١٠٦٦م أمـر الخليفـة الفاطمـي المسـتنصر باللـه بتجديـد الواجهـة الشـمالية. وسـجل هـذا التجديـد في كتابـة كوفيـة حفـرت بالحجـر بأعـلى الواجهـة الشـمالية للـرواق الأوسـط هـذا نصهـا:

« بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم. ومـا توفيقـي إلا باللـه، عليـه توكلـت وإليـه أنيـب. أمـر بعمـل هـذا الوجـه مولانـا وسـيدنا معـد أبي تميـم الإمـام المسـتنصر باللـه أمـير المؤمنـين صلـوات اللـه عليـه وعـلى سـلفه وخلفـه، في نظـر الأمـير الأجـل الأعـز علـم الملـك نـصر الدولـة ذي الفضيلتـين. وجـرى ذلـك عـلى يـد الفاضـل أبي الحسـين عبـد الرحمـن بـن الحسـن بـن عـلي الأنصـاري المعـروف بالاجـوف سـنة ثمـان وخمسـين وأربعمائـة.»

٥٢ - ظـل الكثـير مـن بنـاء الظاهـر قائمًـا إلى مـا قبـل التعميـرات التـي تمـت في السـنين الأخـيرة.

مثـلًا فيـما يعلـو العقـود التـي تحمـل القبـة، والفسيفسـاء المذهبـة التـي مـا زالـت موجـودة إلى الآن، والـرواق الأوسـط بأعمدتـه، ومـا يعلوهـا، وبعـض الأعمـدة والعقـود في القسـم الشرقـي. والمرجـح أن مسـاحة المسـجد مـن الداخـل أيـام الظاهـر هـي نفـس مسـاحته الحاليـة أي ٨٠ مـترًا طـولًا و٥٥ مـترًا عرضًـا.

٥٣- ولمـا أحتـل الصليبيـون بيـت المقـدس (٤٩٢هـ - ١٠٩٩ م) اسـتغلوا المسـجد الأقـصى لمصالحهـم. وكانـوا يسـمونه Palatium Tempelum Solomones. قـال Guy Le Strange أن الصليبيـين انقصـوا مـن حجـم المسـجد كثـيرًا. وأنهـم مـا اكترثـوا لـه بمثـل مـا اكترثـوا لمسـجد الصخـرة. وأنهـم جعلـوا قسـمًا مـن الأقـصى كنيسـة. واتخـذوا قسـمًا آخـر مسـكنًا لفرسـان الهيـكل. واسـتعملوا القسـم الباقـي مسـتودعًا لذخائرهـم. وقيـل « أنهـم أضافـوا إلى المسـجد الأقـصى مـن ناحيتـه الغربيـة، وعـلى طـول حائـط الحـرم القبـلي، صفًـا مزدوجًـا مـن القناطـر المعقـودة. وأن هـذه القناطـر هـي التـي اتخذوهـا مسـتودعًا لأسـلحتهم.»

٥٤- عندمـا أسـترد صـلاح الديـن بيـت المقـدس مـن الصليبيـين وأرجعـه إلى حظـيرة المسـلمين (٥٨٣ هـ - ١١٧٨ م) أمـر بأصـلاح المسـجد الأقـصى؛ فجـدد محرابـه، ووضـع الفسيفسـاء الجميلـة في قبتـه، وأزال كل أثـر كان فيـه للصليبيـين. هنـاك كتابـة بالفسيفسـاء المذهبـة. فـوق المحـراب تشـير إلى مـا فعلـه صـلاح الديـن. إليـك نصهـا: «بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم. أمـر

بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه فى سنة ٥٨٣ هـ وهو يسأل الله إذاعة شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة.»

وأتى بالمنبر الخشبي الجميل الذي صنعه نور الدين محمود بن زنكى(٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م) من أجل جامع القلعة بحلب. وهو من أجمل المنابر الأثرية وأدقها صناعة. إنه من خشب الابنوس المطعم بالسن والصدف.

قال تقي الدين أحمد بن علي المقريزى في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) نقلًا عن ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) أنه لما أمر صلاح الدين بعمل منبر للمسجد الأقصى قيل له « أن نور الدين محمودًا كان قد عمل بحلب منبرًا أمر الصناع في المبالغة في تحسينه وإتقانه، وقال هذا ما عملناه لينصب بالبيت المقدس، فعمله النجارون في عدة سنين، لم يعمل في الإسلام مثله.» فأمر صلاح الدين بإحضاره. فحمل من حلب، ونصب بالقدس. وقد حضرت على جوانبه الكتابة التالية:

« بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بعمله العبد الفقير إلى رحمته الذاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لأعداء دينه الملك العادل نور الدين ذكر الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين أبو القاسم محمود بن زنكى أبو سيف ناصر أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وأدام

اقتداره وأعلا مناره ونشر في الخافقين الويته وأعلامه وأعز أولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له و على يديه واقره بالنصر وارحمنا برحمتك يا رب العالمين. وذلك سنة ٥٦٤»

وعلى يمين الخطيب من ناحية المحراب:« بسم الله الرحمن الرحيم. في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.»

وعلى يسار الخطيب من الجهة الغربية:« بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين.»

وعلى رقبة المنبر:« بسم الله الرحمن الرحيم. عمل في أيام مولانا الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمود ركن.»

وعلى دفة المنبر اليمنى:« بسم الله الرحمن الرحيم. إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها. وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا. إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثًا تتخذون إيمانكم دخلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى إنما يبلوكم الله به وليتبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة.»

وعلى باب المنبر في مواضع مختلفة:«صنعه ابن ظافر الحلبي رحمه الله.» و« صنعه سليمان بن معالي رحمه الله» و « صنعه حميد بن ظافر رحمه الله» و «صنعه فضايل وابو الحسن ولدا يحيي الحلبي رحمه الله.» ومن هذا يفهم أن الذين اشتركوا في صنعه كثيرون، وإنهم حلبيون.

٥٥- ومن ملوك بني أيوب الذين لهم آثار بالمسجد الأقصى الملك العادل سيف الدين أبو بكر أخو السلطان صلاح الدين، والملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه، والملك الأفضل نور الدين علي، والملك العزيز عثمان، والملك المعظم عيسى. فقد كان هؤلاء يكنسونه بأيديهم، ثم يغسلونه بماء الورد، ويصرفون الأموال الطائلة على الفقراء.

٥٦ - وفى سنة ٦١٤ هـ ١٢١٧ م أمر الملك المعظم عيسى بإنشاء الرواق الذي يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد. وهو يشتمل على سبعة أقواس معقودة، أكبرها أوسطها. ويقابل كل منها باب من أبواب المسجد السبعة. وهذا الرواق تغطيه سبعة اقبئة مصلبة. وقد ثبت على واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام كتب عليها هذه الكلمات:

« بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذه الأروقة الشمالية سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم أبو العزائم عيسى بن الملك العادل سيف الدنيا

والديـن سـلطان الإسـلام والمسـلمين أبي بكـر بـن أيـوب خلـد اللـه ملكـه وذلـك في سـنة ٦١٤ هــ.»

٥٧ - ولقـد توالـت بعـد ذلـك أعـمال التعمـير والإصـلاح بالمسـجد الأقـصى في عهـد المماليـك. وأني لذاكـر فيـما يـلي الكتابـات التـي عـثرت عليهـا في جنبـات هـذا المسـجد، والتـي تـدل عـلى مـا كان للمماليـك مـن فضـل في تعمـيره.

٥٨- فالملـك المنصـور سـيف الديـن قـلاوون هـو الـذي عمـر سـقف المسـجد الأقـصى مـن ناحيـة القبلـة مـما يـلي الغـرب عنـد جامـع الأنبيـاء. وكان ذلـك في سـنة ٦٨٦ هـ - ١٢٨٧ م.

٥٩- وفي زمـن ولـده الملـك النـاصر محمـد بـن الملـك المنصـور قـلاون جـرت التعمـيرات التاليـة:

جـددت قبـة المسـجد الأقـصى. وإنـك لتقـرأ حـول القبـة مـن الداخـل الكلـمات التاليـة مكتوبـة بأحـرف كبـيرة مـن النـوع المعـروف بالثلـث: « بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم. جـددت هـذه القبـة المباركـة في أيـام مولانـا السـلطان الملـك النـاصر العـالم العـادل المجاهـد المرابـط المشـاعر المؤيـد المنصـور قاهـر الخـوارج المتمردين محـي العـدل في العالمـين سـلطان الإسـلام محمـد بـن السـلطان الشـهيد الملـك المنصـور قـلاون الصالحـي تغمـده اللـه برحمتـه في شـهور سـنة ٧٢٨ هــ - ١٣٢٧ م .

وأمر بوضع الرخام في صدر المسجد (٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م) وقد تم ذلك بمعرفة الأمير ناصر الدين ناظر الحرمين فى القدس والخليل. وكذلك قل عن الشبابيك الجبصية الملأى بالزجاج الملون، تلك الشبابيك الكائنة في صدر المسجد.

وعمر السور القبلي عند محراب داود. وفتح الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله.

وتجد مكتوبًا فوق شباك المسجد الأقصى غربي المنير:« بسم الله الرحمن الرحيم. جدد هذا الشباك والرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون الصالحي بالإشارة العالية تنكيز الناصري كافل المالك الشريفة الشامية. وذلك سنة ٧٣١ هـ - ١٣٣٠م.

وكذلك فوق الشباك الكائن شرقي المحراب:« جدد هذا الشباك والرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون عند نصره بالإشارة الغالية الشريفة تنكيز الناصري سنة ٧٣١ هـ - ١٣٣٠ م.

وفي واجهة المسجد الأمامية فوق الأروقة أربعة ألواح حجرية واحد منها إلى الغرب وقد نقشت عليه الكلمات التالية:

« بسم الله الرحمن الرحيم. جدد هذا المجامع المستجد والأبواب المستجدة في أيام مولانا السلطان العادل العامل الملك الناصر سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين مولانا السلطان الشهيد محمد قلاون الصالحي تغمده الله بالرحمة بنظر العدل الفقير إلى الله تعالى.

بالبلا الصابري ناظر الحرمين الشريفين بتاريخ شهر رجب الفرد سنة اربعين وسبعماية - ١٣٣٩ م.»

٦٠- وفي زمن أولاده السلطان شعبان والسلطان حسن جددت أبواب المسجد الأقصى الخشبية (٧٧٨ هـ - ١٣٧٦م). فإن أحد الألواح الأربعة المتقدم ذكرها، وهو الذي إلى الشرق، نقشت عليه الكلمات التالية:

« جدد هذا الجناح المبارك في أيام الملك السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد قلاون خلد الله ملكه.»

٦١ - وفي زمن الملك الأشرف اينال عمر المسجد الأقصى على يد ناظر الحرمين. الأمير عبد العزيز العراقي المشهور بابن المعلاق. وقد جرى ذلك سنة ٨٦٥ هـ - ١٤٦٠م.

٦٢- وفي زمن الملك الأشرف قايتباي جرى تعمير آخر. ولكننا لا نعلم عن هذا التعمير شيئًا سوى ما قرأناه على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الأوسط إلى اليمين:« بسم الله الرحمن الرحيم. جدد هذا الشريف.. وأطراف .. اللطيف في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أمده الله بنصره العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ناظر الحرم الشريف غفر الله له في الخامس عشر من محرم شهر

اللـه المعظـم سـنة ٨٩٤ هـ - ١٤٨٨م» وقـد يكـون هـذا الرصـاص الـذي جـدده الملـك الأشرف قايتبـاي إذ قـال مجـير الديـن:« جـدد عمـل الرصـاص عـلى ظاهـر المسـجد الأقـصى وفـك الرصـاص القديـم ثـم ركـب. ولم يكـن كالاول في حسـن الصناعـة والإتقـان. وكان الصانـع لـه مـن أهـل الـروم ». ولكـن التاريـخ الـذي تـم فيـه هـذا العمـل، حسـب قـول مجـير الديـن، كان ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م.

٦٣- وهنـاك تعمـير آخـر جـرى أيـام الملـك قانصـو الغـوري. فأنـا نقـرأ عـلى العضـادة الكائنـة بـين البـاب الثالـث مـن اليمـين والبـاب الكبـير الكلـمات التاليـة:

« بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم. إنمـا يعمـر مسـاجد اللـه مـن آمـن باللـه واليـوم الآخـر. جـدد عـمارة المسـجد الأقـصى صـلاح العارفـين ظاهـره ونقيـه (...) الشريفـة وإصـلاح (...) في أيـام مـولا الملـك سـلطان المماليـك قانصـو الغـوري بعـون نـصره المظفـر ناظـر الحرمـين الشريفـين أبـو النـصر.»

٦٤- ومـن سـلاطين بنـي عثـمان الذيـن اهتمـوا بترميـم المسـجد الأقـصى السـلطان سـليمان القانـوني (٩٦٩ هـ - ١٥٦١ م) والسـلطان محمـود الثـاني (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م) والسـلطان عبـد المجيـد (١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م) والسـلطان عبـد العزيـز (١٣٩١ هـ - ١٨٧٤ م) والسـلطان عبـد الحميـد الثـاني (١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م).

٦٥- مكتوب بجانب الباب الكبير من أبواب المسجد الأقصى من ناحية اليسار:« بسم الله الرحمن الرحيم. جدد هذا المسجد الأقصى حضرة سيدنا ومولانا سلطان البرين وخاقان البحرين وخادم الحرمين الشريفين وهذا المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين المجاهد محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان خلد الله ملكه مدى الزمان. وذلك عن يد الوزير صاحب الخيرات والتدبير سعادة الحاج سليمان باشا والي صيدا وطرابلس الشام أدام الله تعالى دولته وإجلاله. وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومايتين وألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم بقلم الضعيف مصطفى علي أفندي المأمور من جانب الدستور.»

ومكتوب على القوس الذي فوق دكة المؤذنين بالمسجد الأقصى:

« جدد تعمير هذا المسجد الأقصى مولانا السلطان المعظم والخاقان المفخم الغازي المجاهد السلطان محمود خان خلد الله ملكه مدى الدوام سنة ١٢٣٣».

٦٦ - أما السلطان عبد العزيز فاليه يعزى الفضل في بعض الزجاج الملون الموجود في عدد من الشبابيك.

٦٧ - وأما السلطان عبد الحميد فهو الذي بعث بالشطر الأكبر من السجاد العجمي الذي يصلى عليه المصلون.

٦٨ - طرأ على المسجد الأقصى، مع طول العبد وتقادم الزمن، وهن أكتشفه في سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢م المجلس الإسلامي الأعلى الذي يرأسه المفتي الأكبر الحاج أمين أفندي الحسينى فراح يفكر في القيام بمشروع واسع النطاق من أجل تعميره.

فاستدعى المجلس المعمار التركي الكبير الأستاذ كمال الدين بك ليستشيره في الأمر. فلبى هذا الدعوة (١٩٢٢) وضم إليه عددًا من المهندسين هم المعمار نهاد بك والمهندس رشدي بك الأمام الحسيني والمهندس جمال الدين بك والمعمار حسني بك. وراح هؤلاء المهندسون يفكرون في أنجع الوسائل لتعمير المسجد تعميرًا يتناسب مع قدسيته وجلال قدره ومزاياه الدينية والتاريخية.

٦٩- وأنا لنرى لزامًا علينا أن نصف لك المسجد الأقصى في ذلك الحين وقبل أن شرع في تعميره المهندسون فنقول:

يتكون المسجد من طبقتين: طبقة سفلية وتعرف بـ (الأقصى القديمة) وأخرى علوية وتعرف بـ (المسجد الأقصى).

أما الأقصى القديمة فإنها عبارة عن دهليز تحت الأرض، واسع وطويل، يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة، بعضها أسطواني والبعض الآخر مربع الشكل.

وأما المسجد الأقصى فإنه أطول وأعرض من الأقصى القديمة. وهو عبارة عن سبعة أروقة ترتكز على أعمدة ضخمة موضوعة على مسافات متساوية، تعلوها تيجان الكورنتين ويربط الواحد منها بالآخر شدادات (أوتار) خشبية. وفوق هذه الأعمدة أقواس حجرية يتخللها نوافذ كبيرة تطل على أروقة المسجد. وفوق هذه النوافذ نوافذ أخرى ينفذ منها النور.

ومن فوق ذلك سقف مكون من مقصات (جملونات) خشبية، يعلوها ألواح من الخشب مكسوة من الخارج بالرصاص.

وفي نهاية الرواق الأوسط من القبلة قبة قائمة على أربعة أقواس، يرتكز كل ركن من أركانها الأربعة على ثلاثة أعمدة، تعلوها تيجان من الكورنتين. وهذه الأعمدة أيضًا قائمة على قواعد حجرية من الرخام ومرتبطة بشدادات خشبية.

والقبة نفسها عبارة عن طبقتين: داخلية وفيها النقوش والرسوم والكتابات العربية الملونة. وخارجية وهي عبارة عن ألواح خشبية مصفحة من الخارج بالرصاص. والمسافة بين الطبقتين ثلاثة أمتار لغاية الذروة.

وهناك رقبة القبة وهو القسم الأسطواني الذي يقوم بين القبة والأقواس. وهذه الرقبة مكسوة من الداخل بالفسيفساء.

كذلك كان المسجد الأقصى عندما رآه المهندسون (١٩٢٢) لأجل البحث في تعميره... وأما الوهن الذي اكتشفوه فكان ناشئًا عن أسباب عديدة، منها وأهمها: ضعف الأساسات. إذ أن الأعمدة الشرقية للرواق الأوسط في الطبقة العلوية (المسجد الأقصى) لم تكن مرتكزة على أعمدة الطبقة السفلية (الأقصى القديمة) بل كانت مبنية على الأقواس نفسها. وهذا خطأ فني لا ندري كيف أقترفه الأسلاف.

وهناك أسباب أخرى حدثت مع تقادم العهد وطول الزمن، نذكر منها: انتحات الشدادات الخشبية التي تربط الأعمدة ونخرها المستمر. الأمر الذي أدى إلى تكبس بعض الأعمدة والجدران، حتى أنحرف بعضها عن موضعه الأصلي مقدار ١٢ سنتمترًا.

ويظهر أن كل ما عمله المتأخرون من أجل تلافي الخطر هو أنهم كانوا يضيفون إلى البناء دعائم ساندة ويقيمون حول الأقسام المتصدعة ركبًا من الحجارة. وقد انشأوا في بعض الحالات تحت الأقواس القديمة أقواسًا جديدة. الأمر الذي شوه جمال المسجد تشويهًا واضحًا، ولم يوصلهم إلى الغاية المتوخاة. فتصدعت، مع الزمن، تيجان الأعمدة وقواعدها. ومال بعض الأعمدة عن وضعه العمودي - كما قدمنا - حتى لم يعد باستطاعتها أن تتحمل ثقل البناء القائم عليها. وفقدت الشدادات (الأوتار) الخشبية فائدتها بسبب نخرها وتفتتها. فأصبح المسجد على وشك الانهيار. أضف إلى ذلك أن قسمًا كبيرًا من الفسيفساء والنوافذ المصنوعة من الجبص الملون سقط وأصبح المسجد في شكل مشوه.

٧٠ - إذا لا بـد مـن الشروع فورًا في التعمير.

ولمـا كان هـذا يحتـاج إلى مبالـغ جسـيمة وكان المجلـس الإسـلامي القائـم بالأمـر لا يسـتطيع الإنفـاق عليـه مـن مـوارده المحـدودة، فقـد أوفـد إلى الحجـاز ومـصر والهنـد والعـراق وخليـج الحجـم والآسـتانة وفـودًا. وكتـب إلى عـدد مـن ملـوك المسـلمين وأمرائهـم الذيـن توسـم فيهـم حـب الخـير. فقامـوا بالتـبرّع.

٧١- ولما فكـرت الهيئـة الفنيـة في وضـع التصاميـم اللازمـة لتقويـة المسـجد الأقـصى في أواخـر سـنة ١٩٢٣ رأت أنـه يوجـد ثمـة طريقـان للخـروج مـن هـذا المـأزق. ولمـا لم تسـتطع أن تجـزم في أي الطريقـين أفضـل، رفعـت تقريرهـا إلى المجلـس الإسـلامي. فوجـه هـذا دعوتـه إلى الحكومـة المصريـة التـي لبـت الدعـوة، وانتدبـت لهـذه الغايـة كلا مـن محمـود أفنـدي أحمـد مـن مهنـدسي وزارة الأوقـاف ومـن أعضـاء لجنـة الآثـار المصريـة ومصطفـى حمـدي بـك القطـان مـن مهنـدسي وزارة الأشـغال ومـن أعضـاء جمعيـة المهندسـين الملكيـة وانتدبـت حكومـة فلسـطين عنهـا المهنـدس المسـتر ريشـموند مسـاعد السـكرتير العـام والمسـتر غـاي مهنـدس دائـرة الآثـار والمسـتر هاريسـون رئيـس المهندسـين المعماريـين في حكومـة فلسـطين والسـيد جـورج انطونيـوس.

عقـد هـؤلاء الخـبراء بالاشـتراك مـع كـمال بـك ومسـاعديه مؤتمـرًا فنيًـا في دار المحكمـة الشرعيـه الكائنـة بـباب السلسـلة (شـباط ١٩٢٤). ويظهـر أن المهندسـين الذيـن اشـتركوا في هـذا المؤتمـر أيضًـا قـد اختلفـوا؛ ففريـق منهـم

(وهـم الأتـراك) قالـوا بـضرورة هـدم القبـة المتصدعـة كلهـا وتشـييدها مـن جديـد، وآخـرون (وهـم المصريـون) قالـوا بوجـوب تقويـة البنـاء مـع المحافظـة عليـه بقـدر الإمـكان. وذلـك بالطريقـة التاليـة: تحمـل القبـة التـي يقدرونهـا بنحـو ألـف طـن مـع الرقبـة والأقـواس التـي تحتهـا عـلى حمائـل خشـبية (صقـالات) ثـم ترفـع الأعمـدة القديمـة المتصدعـة بتيجانهـا وقواعدهـا وأساسـاتها الباليـة، وتسـتبدل بغيرهـا.

ولمـا كانـت الطريقـة الأولى مضيعـة لقيمـة المسـجد التاريخيـة والأثريـة فقـد قـرر المؤتمـر قبـول الطريقـة الثانيـة رغـم مـا فيهـا مـن خطـر ووعـورة. وإليـك القـرار الـذي أصـدره يومئـذ: بعـد الفحـص والتدقيـق في حالـة قبـة المسـجد الأقـصى والجـزء السـفلي منـه والمشـاريع الثلاثـة التـي قدمهـا كـمال الديـن بـك والتقريـر الـذي قدمـه المندوبـان المصريـان مصطفـى حمـدي بـك القطـان ومحمـود أفنـدي أحمـد، وبعـد البحـث الـوافي قـررت اللجنـة بالإجـماع قبـول المـشروع الثـاني وأساسـه تقويـة البنـاء مـع المحافظـة عليـه جهـد المسـتطاع. أمـا تفاصيـل المـشروع فهـي كـما يـلي:

«صلـب المجمـوع، تقويـة الأسـس، تقويـة الأعمـدة، تجديـد الأوتـار (الشـدادات) الخشـبية، حفـظ العقـود والمقرنصـات ورقبـة القبـة (الكـرسي). وبقـدر المسـتطاع حفـظ القبـة نفسـها. وبالإجـمال كل ترميـم أو تجديـد يجـده كـمال الديـن بـك ضروريًـا ومسـتطاعًا فيـما عـدا مـا ذكـر.

«وتزيـد الهيئـة عـلى ذلـك أنـه وإن كان المـشروع الأول المتعلـق بالتجديـد والـذي إختـاره كـمال الديـن بـك ذو نتيجـة أقـوى وأجمـل، إلا إنهـا تؤثـر بالإجـماع المـشروع الثـاني المذكـور أعـلاه الموافـق لتقريـر المندوبـين المصريـين

لأعتبـارات أثريـة ودينيـة واجتماعيـة. وبهـذه المناسـبة تـرى الهيئـة أنـه يستحسـن أن يمنـح كـمال الديـن بـك الحريـة التامـة في اختيـار الوسـائل التـي سـتتخذ لتنفيـذ الأعـمال المقـررة في المـشروع المذكـور أعـلاه وأنهائهـا عـلى أحسـن وجـه.

« وتـرى الهيئـة أن هـذا العمـل ضروري ودقيـق، وأنـه لا بـد مـن إعطـاء كـمال الديـن بـك الـذي سـينفذه الحريـة في أن يختـار كل مـن يحتـاج إليـه مـن العـمال الفنيـين، وأن يتخـذ كل التدابـير الاحتياطيـة الخاصـة التـي يقتـضى اتخاذهـا في مـشروع دقيـق كهـذا. ثـم تـود الهيئـة أن تبـدي ارتياحهـا لمـا رأتـه مـن الدقـة والمهـارة اللتـين أظهرهـما الأسـتاذ المعـمار كـمال الديـن بـك وهيئتـه الفنيـة في درس المسـألة، والمشـاريع التـي هيأهـا؛ وأن تظهـر ثقتهـا أيضًـا مجمعـة بذلـك التحضـير الدقيـق المحكـم. ومنـه تبـدو بجـلاء تـام الأهميـة الكبـيرة التـي تشـتمل عليهـا هـذه القضيـة الدقيقـة وتفاصيلهـا وفروعهـا. وعـلى هـذا وضعـت هيئـة المؤتمـر هـذا القـرار النهـائي بـكل ثقـة في ٢٣ شـباط ١٩٢٤».

٧٢- عملت الهيئة على تنفيذ مشرع التعمير وفقًا لهذا القرار. فاستحضرت الأعمدة والحجارة الضخمة وقامت بالتعميرات اللازمة (١٩٢٥) وإليك ما عملته باختصار:

١- قوت الأقواس والأعمدة الثلاثة الضعيفة الكائنة في الناحية القبلية من الطبقة السفلية (الأقصى القديم) بدعائم من الخراسانة المسلحة.

٢- استبدلت الأعمدة القديمة البالية التي تقوم عيلها القبة بأعمدة جديدة (عددها ثمانية) وأقيمت هذه على أساسات من الخراسانة المسلحة. استحضرت الأعمدة الجديدة من الصليب الكائن بين القدس وبيت جالا.

٣- أنشأت تحت الأقواس القديمة التي ترتكز عليها القبة أقواسًا جديدة من الحجارة الضخمة وهذه أتي بها من محاجر بيت صفافا. وترك بين الأقواس القديمة والجديدة فراغ لقوس حامل صنعته من الخراسانة المسلحة.

جرت الأعمال المتقدم ذكرها بصورة صانت القبة من خطر الانهيار، على يد عمال وصناع عرب من أهل القدس والمدن الفلسطينية المجاورة. وقام بالشطر الأكبر من أعمال المراقبة. الفنية للإنشاءات المتقدم ذكرها والإنشاءات التي قامت بعدها المهندس المقدسي الأصل السيد رشدي الإمام الحسيني. إذ كان المهندسون الأتراك قد استقالوا نزولًا عند رغبة المجلس الإسلامي الأعلى الذي أخذ برغبة الشعب في التوفير والاقتصاد في نفقات التعمير.

وإليك التعميرات التي تمت بعدئذ:

٤- استبدلت أربعة من الأعمدة وستة من الأقواس الحجرية الكائنة في الجناح الذي يحيط بمنطقة القبة من الغرب بأعمدة وأقواس جديدة.

٥- هدم السقف الذي كان على وشك الانهيار في الجناح الغربي المتقدم ذكره، واستبدل بآخر صنع من الخراسانة المسلحة.

٦- هدم القسم الغربي من الحائط القبلي وأعيد بناؤه بالحجارة تدعمها من الخلف الخراسانة المسلحة. وفتحت فيه نوافذ كبيرة.

٧- عمر السقف الخشي لجناح القبة الشرقي.

٨- زخرفت واجهة المحراب وأقواس القبة الشرقية والغربية والقبلية بأشكال بديعة من الجبص البارز، وبألوان ذهبية جذابة.

٩- أزيلت القصارة التي كانت على واجهة القوس الشمالي للقبة، ورصعت هذه بالفسيفساء البديعة على النسق القديم.

١٠- صفحت شدادات الخراسانة بالنحاس المذهب ونقشت بنقوش بارزة.

١١- رصع الحائطان القبلي والغربي بالفسيفساء الملونة وبأشكال هندسية بديعة.

١٢- صنعت ثلاثون نافذة من الجبص المحفور المزين بأنواع الزجاج الملون ووضعت في رقبة القبة، وفي الحائط القبلي فوق المحراب، وفي الحائط الغربي.

نقش تاريخ هذه العمارة بالخط الكوفي. وإنك لتجده بحذاء الشدادات وقد زخرف بالنقوش العربية زخرفة تمثل أوراق النبات، وكسي بورق الذهب. وعلى أركان القبة وفوق هذه الكتابة التي تعلو التيجان نقشت بعض الآيات القرآنية بالخط الثلث. أما الخط الكوفي فقد رسمه المهندس المذكور السيد رشدي الأمام وكتبه الخطاط المقدسي السيد عبد القادر إسحق الشهابي.

وأن الداخل إلى المسجد ليرى، بين القبة والجدار القبلي الذي فيه المحراب وبين المحراب والسقف، الكلمات التالية:« جددت قبة المسجد الأقصى في زمن المجلس الإسلامي الأعلى في ذي الحجة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م ».

٧٣- ما كاد هذا التعمير يتم حتى حدث زلزال (سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م) تضرر المسجد بسببه. ولكن هذا الضرر لم يظهر إلا في سنة ١٩٣٦ يوم أكتشف القائمون على الأمر خلالًا في الجهتين الشرقية والغربية من المسجد الأقصى. وأما القبة نفسها فلم تصب بضرر. وإنه لمن حسن حظ المسلمين أن تعميرها كان قد تم قبل الزلزال. فطلب المجلس الإسلامي الأعلى من وزارة الأوقاف المصرية انتداب من تختاره من مهندسيها للكشف. وفيما كانت المخابرات تجري حدثت (١٩٣٧) هزة أرضية خفيفة. لكن تأثيرها على المسجد كان عظيمًا. فقام المجلس الإسلامي الأعلى على أثر ذلك بإصلاحات واسعة المدى.

وساعد المجلس الإسلامي في عمله هذا، من الناحية الفنية، مدير إدارة

حفظ الآثار العربية بمصر محمود أحمد باشا (هو محمود أفندي الذي ذكرناه في العمارة السابقة) والأستاذان محمد بك نافع وكيل الإدارة السابق وعبد الفتاح بك حلمي مفتش هندسة الآثار العربية إذ ذاك. وبلغت تكاليف المشروع خمسة وخمسين ألف جنيه دفعها المجلس الإسلامي الأعلى من واردات الأوقاف العامة.

٧٤- ابتدأت الإصلاحات سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م وانتهت سنة ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م وتتلخص الأعمال التي أنجزت خلال هذه المدة في هدم الرواق الشرقي. هدموه مكرهين، لأنه كان متصدعًا تصدعًا خطيرًا بفعل الزلازل القديمة والحديثة، ومؤونة البناء التي انحلت، والرصاص والأتربة التي تراكمت مع الزمن فوق القبوات المصلبة. وما كان في استطاعتهم أن يرمموه دون الالتجاء إلى هدمه كما فعلوا بالقبة.

أجل أنهم هدموا الرواق الشرقي وقد أعادوا بناءه من جديد. أعادوه طبقًا لتخطيطه الأصلي في العهدين العباسي والفاطمي في صفوف من العقود محمولة على أعمدة أسطوانية تسير من الجنوب إلى الشمال موازية للرواق الأوسط. بنوا السقف من الأسمنت المسلح بالحديد المعروف بـ (الخراسانة) . وكذلك فعلوا بالرواق الأوسط الذي كان لا يزال قائمًا منذ التجديد الفاطمي. فقد هدموه واعادوا بناءه كما هو، وأبدلوا الجملون الخشبي الذي كان يستره بآخر من الحديد الصلب.

ولأجل القيام بهذه الأعمال استعملوا الكثير من الحجارة التي هدمت. استعملوها في الأساسات. واستعملوا الأخشاب الصالحة في عمل

الجملونات. كما أعادوا الرصاص القديم في تغطية هذه الجملونات بعد أن سيحوه وأعادوا سبكه. واستعاضوا عن الأعمدة الحجرية القديمة بأعمدة من الرخام أتوا بها من إيطاليا، ونحتوا تيجانها وقواعدها بالقدس طبقًا لأشكالها القديمة. واستبدلت الأوتار الخشبية التي كانت تربط العقود بعضها ببعض بأخرى حديدية مصفحة بالخشب. والحجارة التي أستعملت في البناء وفي تبليط أرض المسجد أستخرجت من محاجر فلسطين وهي من النوع الصلب المعروف بـ (مزي حلو). وقام بهذه الأعمال كلها عمال عرب فلسطينيون.

كان الناظر، وهو واقف في المسجد يصلي، يرى الجملون الخشبي فوق الرواق الأوسط. إذ ما كان يحجبه من الداخل سقف أفقي. ولما أستبدل هذا الجملون الخشبي بأخر من الحديد الصلب وضعوا من تحته سقفًا أفقيًا من الخشب زخرف بنفس الطريقة التي كانت تصنع بها الزخارف الفاطمية. إن هذا السقف الخشبي وزخارفه كلف عشرة آلاف جنيه. تبرعت بها الحكومة المصرية. وأشترك في عمله صناع مصريون وآخرون فلسطينيون بأشراف مهندسي مصلحة الآثار العربية بمصر، وأستخدم في نقشه وتذهيبه أوراق الذهب من عيار ٢٠ قيراط استحضرت من إنكلترا. وقد تم ذلك (سنة ١٣٦٣ - ١٩٤٤ م).

وأنك لترى، عندما تدنو من المسجد، بين مدخله الرئيسي والباب الكائن غربيه، بلاطة من المرمر نقشت عليها السطور التالية:

« جدد المجلس الإسلامي الأعلى القسم الشرقي والرواق الأوسط وواجهة الرواق الشمالي لمسجد الأقصى المبارك بأشراف أدارة الآثار

العربيـة بمـصر. وكان بـدء العمـل في سـنة ١٣٥٧ هـ والفـراغ منـه في سـنة ١٣٦٣ هـ. وقامـت الحكومـة المصريـة بتجديـد السـقف الخشـبي للـرواق الأوسـط في عهـد جلالـة الملـك الصالـح فـاروق الأول حفظـه اللـه وأيـد ملكـه في سـنة ١٣٦٣ للهجـرة ١٩٤٣م.»

٧٥- ولمـا تمـت تعمـيرات المسـجد عـلى الشـكل المتقـدم ذكـره أضيء بالكهربـاء. وكان ذلـك في مسـاء الثلاثـاء الخامـس والعشريـن مـن محـرم الحـرام سـنة ١٣٦٤ للهجـرة الموافـق ٩ كانـون ثـاني سـنة ١٩٤٥ م. وقـد كان يضـاء، حتـى ذلـك التاريـخ، بالزيـت والشـموع.

٧٦- دخلـت المسـجد الأقـصى مـرارًا في نعومـة أظفـاري وفي ريعـان شـبابي. ولكنـي مـا أنعمـت النظـر في بنائـه مثـل المـرة الأخـيرة (يـوم الجمعـة لأيـام خلـون مـن شـهر رمضـان الفائـت ١٣٦٥ الموافـق ٢٤ آب ١٩٤٥) عندمـا دخلتـه باحثًـا مسـتقصيًا مـن أجـل كتـابي هـذا. وإليـك وصفـه كـما رأيتـه في ذلـك اليـوم:

طولـه ٨٠ مـترًا وعرضـه ٥٥ مـترًا. وهـو قائـم عـلى ٥٣ عمـودًا مـن الرخـام و ٤٩ سـارية مـن الحجـارة وهـذه ضخمـة ومربعـة الشـكل. أمـا الأعمـدة فمصنوعـة مـن الرخـام المختلـف الألـوان طـول الواحـد منهـا خمسـة أمتـار (خـلا القاعـدة والتـاج) وقطـره يقـرب مـن المـتر. وكلهـا معرقـة تعريقًـا جميـلًا.

وفي الصدر قبة مصنوعة من الخشب. وهي مستورة من الخارج بصفائح الرصاص. ومزينة من الداخل بالفصوص الذهبية الملونة. وهذه على الغالب صنعت في خلافة المهدي (١٥٨ هـ - ٧٧٥ م) ورممت على عهد صلاح الدين (٥٨٤ هـ - ١١٨٨م) وجدد تزيينها في زمن الملك الناصر محمد بن قلاون (٧٨٢ هـ - ١٣٨٠ م). إنها قائمة على أعمدة جديدة هي التي وضعت سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م.

وفي المسجد الأقصى محراب كبير كائن إلى الشرق من المنبر. كانوا يسمونه فيما مضى (محراب داود). ثم صاروا يسمونه (محراب عمر). وهناك في صدر المسجد، وإلى الغرب من المنبر، وفي داخل المقصورة المصنوعة من الحديد محراب آخر يسمونه (محراب معاوية).

وفي داخل المسجد الأقصى وعند زاويته القبلية إلى الشرق جامع متصل به، وهو مستطيل الشكل، يسمونه (جامع عمر). وقد جاء في الأنس الجليل أنه من بقية البناء الذي أقامه عمر يوم الفتح. وهذا الجامع معقود بالحجارة والكاس. وفيه محراب. وإلى الشمال من جامع عمر أيوان كبير يسمونه (مقام عزير) ويسمونه أيضًا مقام الأربعين به محراب. وعلى حائطه سورة الاسراء إلى قوله تعالى: «وجعلناكم أكثر نفيرا.»

وإلى الشمال من مقام عزير إيوان صغير وجميل وبه (محراب زكريا). كتبت فوقه الآيات التالية:

« بسم الله الرحمن الرحيم. كهيعص. ذكر رحمة ربك عبده زكريا. إذ نادى ربه نداء خفيا. قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا، ولم أكن بدعائك رب شقيا. وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا. فهب لي من لدنك وليًا.»

وهناك جامع آخر يسمونه (جامع النساء) وهو في الجانب الغربي إلى القبلة. إنه من آثار الفاطميين، وهو عبارة عن عشر قناطر قائمة على تسع سوار في غاية الأحكام.

وهناك (المنبر). وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس. وقائم على أعمدة من المرمر. عمله السلطان الملك العادل نور الدين في حلب (٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م) ونقله صلاح الدين للقدس بعد الفتح (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م).

ويقابل المنبر (دكة المؤذنين). وهي قائمة على أعمدة من رخام.

وللمسجد الأقصى في يومنا هذا أحد عشر بابًا: سبعة منها إلى الشمال، وهي كبيرة. وكل واحد من هذه الأبواب ينتهي إلى كور من أكوار المسجد السبعة. وباب إلى الشرق وهو الذي ينتهي إلى مهد عيسى. وآخر إلى الغرب. وهناك، من ناحية الغرب أيضًا، باب يدخل منه النساء إلى الجامع المسمى باسمهن (جامع النساء). وفي الجدار القبلي

وإلى جانب المقصورة الكائنة غربي المنبر باب غير نافذ إلا إلى زاوية ذكرناها في (تاريخ القدس).

وأمام المسجد من الناحية الشمالية رواق كبير أنشأه الملك المعظم عيسى (١٣٤ هـ ١٣٣٦م) وقد جدد من بعده. وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة. كل قنطرة منها تنتهي إلى باب من أبواب المسجد السبعة.

كان هناك، في آخر المسجد من جهة الشرق، مكان كبير مرتفع يصعد إليه في درج. أن هذا المكان الذي يسمونه (سوق المعرفة) كان فيما مضى مصلى للحنابلة. أفرده لهم الملك المعظم عيسى. وكان في أسفله مسجد تحت الأرض يعرف بمهد عيسى. ظل هذا قائمًا حتى سنة ١٩٤٣م إذ هدمه المجلس الإسلامي الأعلى يوم قام بتعمير ذلك الجانب من المسجد.

٧٧- بعد أن حدثتك، أيها القارىء الكريم، عن قبة الصخرة والمسجد الأقصى وعن تاريخها منذ بدء أنشائها إلى يومنا هذا، دعني أحدثك عما بينها وحولها من منشئات وعن الحرم القدسي بوجه عام.

فناء الصّخرة

•••

٧٨ - يقوم مسجد الصخرة في وسط فناء مربع الشكل. فرش بالبلاط الأبيض سنة ٦٩٣ هـ - ١٢٩٣م في أيام الملك المنصور قلاوون على يد نائب القدس في ذلك الحين الأمير علاء الدين آيد وغدى بن عبد الله الصالحي النجمي. طوله من القبلة إلى الشمال أكثر من عرضه من الشرق إلى الغرب.

إن هذا الفناء واسع. تبلغ مساحته من القبلة إلى الشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعًا، ومن الشرق إلى الغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعًا ونصف ذراع. وهو مرتفع أثني عشر قدمًا يصعد إليه بأدراج من الجهات الأربع. وفي أعلى كل درج قنطرة قائمة على أعمدة من رخام. ويسمون هذه القناطر (موازين) لأعتقادهم أن الميزان سينصب هناك يوم الحساب. إن هذه القناطر وإن كانت كثيرة الشبه بمداخل المعابد الرومانية إلا أنه لا صحة للقول القائل بأنها من صنع الرومان، وأنها من صنع هيرودس الملك. إنها كلها من المنشآت الإسلامية.

٧٩ - أما (القنطرة الشمالية الى الشرق) وهي التي تواجه مئذنة باب الأسباط فقد أنشئت ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥ م وعليها ثلاث بلاطات نقشت على إحداها هذه الكلمات:

« بسم الله الرحمن الرحيم. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. تكمل بلاط الحرم الشريف، وأنشئت هذه القناطر في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون. وذلك في ثاني ربيع الأول سنة ست وعشرين وسبع مايـة هـ - ١٣٢٥ م».

وعلى البلاطة الثانية:« وكان فراغ هذا البلاط المبارك والقناطر المباركة»

وعلى الثالثة:« بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى أيدمر الشجاعي الملكي الناصري ناظر الحرمين الشريفين عفا الله عنه.»

٨٠ - وأما (القنطرة الشمالية الغربية) فقد كتبت عليها بالنسخ المملوكي الكلمات التالية:

« بسم الله الرحمن الرحيم. أنشئت هذه القناطر المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العادل محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون رحمه الله في جمادي الآخرة سنة إحدى وعشرين وسبعماية هـ- ١٣٢١ م.»

٨١ - وأما (القنطرة الغربية الى الشمال) التي ينزل منها بدرج إلى باب الناظر فمكتوب عليها هذه الكلمات:« أمر بتجديد هذا الميزان المبارك سيدنا ومولانا السلطان الأعظم والخاقان المكرم مالك رقاب الأمم سلطان الروم والعرب والعجم....» والمعتقد أن ذلك جرى بين ٩٢٦ و ٩٧٤ هـ في زمن السلطان سليمان القانوني. أي أنه هو الذي جددها. وأما الذي أنشأها فهو الملك الأشرف شعبان. وكان ذلك سنة ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م.

٨٢- وأما (القنطرة الغربية إلى الجنوب) الكائنة تجاه باب السلسلة فمكتوب عليها هذه الكلمات:

« بسم الله الرحمن الرحيم. عمرت هذه الدرجة المباركة في أيام مولانا الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أيده الله بنصره. وذلك بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ناظر الحرمين الشريفين غفر الله له بتاريخ شهر جمادي الأولى سنة سبع وسبعين وثمان مائة. وصلى الله على محمد - ١٤٧٢ م .»

وقد جاء في (الأنس الجليل) أن الذي عمر الدرج الموصل إلى صحن الصخرة تجاه باب السلسلة هو الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبي الذي تولى نظارة الحرمين في القدس والخليل سنة ٨٧٥ هـ - ١٤٧٠ م وقد كان هناك قبلًا، على قول مجير الدين، درج ضيق عليه قبو معقود. وكان يسمى زقاق البوس، فسده. وبنى فوقه الدرج

المتقدم ذكره. وعمل له قناطر على عمد كبقية درج الصخرة. وقد تم ذلك في سنة ٨٧٧ هـ ١٤٧٢ م.

٨٣- وأما القنطرة التي في جنوب الصحن إلى الشرق فقد أنشئت سنة ٦٠٨ - ١٢١١م.

٨٤- وأما القنطرة التي في جنوب الصحن إلى الغرب تجاه المسجد الأقصى فلا نعلم بالضبط متى أنشئت؟ ولا من الذي انشأها؟ وأنما نظن أنها حديثة العهد. أو إنها كانت قديمًا هناك وهدمت ثم جددت سنة ١٨٩٣ م.

٨٥- وهناك قنطرة غربي مسجد الصخرة بالتمام، وفوق الدرج الموصل إلى باب المتوضأ. وهذه أيضًا لا نعلم من الذي أنشأها؟ ومتى؟ وكذلك قل عن القنطرة الشرقية.

٨٦- وفي الحرم مزولتان شمسيتان لمعرفة الوقت: واحدة غربية، وهي على رخام مسجد الصخرة من الناحية القبلية إلى الغرب. رسمها مفتي الشوافعة الشيخ محمد طاهر أبو السعود حوالي سنة ١٣٣٩ هـ ١٩٢٠م.

والثانية زوالية وهي على واجهة القنطرة الكائنة في الجنوب الغربي من سطح الصخرة بين مسجد الصخرة والأقصى. رسمها مهندس المجلس الإسلامي الأعلى رشدي الأمام.

وفي فناء الصخرة تجد المنشآت الآتي ذكرها:

٨٧ - (قبة السلسلة) شرقي الصخرة وعلى بعد بضعة أمتار من بابها المعروف بباب داود. وتسمى أيضًا (محكمة داود). فيها صفان من الأعمدة: صف من الخارج فيه أحد عشر عمودًا. وآخر من الداخل فيه ستة أعمدة. ولما ذكرها أبن الفقيه قال أنها قائمة على عشرين عموداً من الرخام. إنها ملبسة بصفائح الرصاص.

ذكرها مجير الدين في الصفحتين ٢٤١ و٣٧٢ من كتابه الأنس الجليل فقال إن الذي بناها هو عبد الملك بن مروان، وأنها بنيت سنة ٧٢ هـ - ٦٩١ م.

وقد أجمع المؤرخون أن بانيها هو عبد الملك. ومن هؤلاء المقدسي وأبو الفداء والسيوطي وغيرهم كثيرون. فمن قائل أنها بنيت لتكون نموذجًا يسير عليه البناءون في بناء مسجد الصخرة. ومن قائل أنها بنيت لتكون (بيتًا للمال) الذي تخصص لبناء ذلك المسجد. ولهذا يسميها البعض (قبة الخزنة)، فإذا صح أنها بنيت لتكون نموذجًا لمسجد الصخرة فإنها تكون قد بنيت سنة ٦٦ هـ - ٦٨٥م أي في السنة التي شرع فيها ببناء مسجد الصخرة، أو قبل ذلك بقليل. كان سلمان

بـن عبـد الملـك يعقـد فيهـا مجالسـه الأداريـة. جددهـا وزخرفهـا الملـك الظاهـر بيـبرس (٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م).

فيها محراب نقشـت فوقه هذه الكلمات:

« يـا داود إنـا جعلنـاك خليفـة في الأرض فاحكـم بـين النـاس بالعـدل ولا تتبـع الهـوى فيضلـك عـن سـبيل اللـه». هـذا هـو السـطر الأول. أمـا السـطر الثـاني فهـو: « أمـر بتجديـد هـذا القاشـاني المقـام الشريـف السـلطاني مولانا السـلطان سـليمان بـن سـليم بـن بايزيـد خـان خلـد اللـه ملكـه وأيـد دولتـه إلى يـوم الميعـاد سـنة ٩٦٩ هـ - ١٥٦١ م.»

٨٨- (قبـة المعـراج) غـربي مسـجد الصخـرة إلى الشـمال. بنيـت في بـاديء الأمـر تـذكارًا لعـروج النبـي (صلعـم) إلى السـماء. ولا نعلـم بالضبـط متـى بنيـت لأول مـرة؟ ومـن الـذي بناهـا؟ ولكنـا نعلـم أن الـذي أعـاد بناءهـا بشـكلها الحـالي هـو الأمـير الاسـفهلار عـز الديـن سـعيد السـعداء أبـو عمـر عثـمان بـن عـلي بـن عبداللـه الزنجيـلي متـولي القـدس. وكان ذلـك في سـنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م.

هذا ثابت بالكتابة المنقوشـة على باب القبة من الشـمال وهي تقول:

« بناهـا الاسفهسـلار عـز الديـن أبـو عمـر عثـمان بـن عـلي بـن عبداللـه الزنجيـلي متـولي القـدس سـنة ٥٩٧ هـ . » ويقـول مجـير الديـن عنـد ذكـره هـذه القبـة إنـه كان هنـاك، قبـل ذلـك التاريـخ، قبـة قديمـة ثـم أندثـرت. ويظهـر أنهـا عمـرت مـرة أخـرى في سـنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧م فـوق محرابهـا

الآيـة الأولى مـن سـورة الاسراء. وتاريـخ وقفهـا ١٦٩٥م. وهـي مثمنـة الأضـلاع قائمـة عـلى سـتة عـشر عمـودًا مـن الرخـام.

٨٩- (محـراب النبـي) غـربي الصخـرة إلى الشـمال ، بينهـا وبـين قبـة المعـراج . عليـه مـن بلاطـة نقشـت عليهـا هـذه الكلـمات:« انشـأ هـذا المحـراب المبـارك مولانـا الأمـير الكبـير محمـد بـك صاحـب لـواء غـزة وقـدس شريـف زيـد قدرهـما بتاريـخ سـنة ٩٤٥ هــ - ١٥٣٨ م.

عندمـا ذكـر السـيوطي هـذا المحـراب قـال:« والمقـام الـذي صـلى النبـي فيـه بالأنبيـاء والملائكـة فإنـه يقـال كان بجانـب قبـة المعـراج في سـطح الصخـرة قبـة لطيفـة. فلـما بلـط سـطح الصخـرة أزيلـت تلـك القبـة، وجعـل مكانهـا محـراب لطيـف في الأرض مخطـوط بالرخـام الأحمـر في دائـرة عـلى سـمت بـلاط سـطح الصخـرة. أن موضـع ذلـك المحـراب موضـع صـلاة النبـي بالأنبيـاء والملائكـة.»

وفـوق المحـراب قبـة مفتحـة الجوانـب. وعـلى جانبهـا القبـلي بلاطـة نقشـت عليهـا هـذه الكلـمات:

« شـفاعت يـا رسـول اللـه. مـيرالاي عسـاكر شـاهانة السـيد محمـد شـاكر. ١٢٦١ هـ- ١٨٤٥م.»

٩٠- (قبة يوسف) جنوبي الصخرة بين النحوية من الغرب ومنبر برهان الدين من الشرق. وهي عبارة عن مصلى صغير. كل ضلع من أضلاعه الأربعة متران. كلها مفتوحة إلا الجانب الجنوبي فإنه مسدود. وعلى الجانب المسدود بلاطة كبيرة نقشت عليها هذه الكلمات:

«بسم الله الرحمن الرحيم. وصلواته على محمد النبي وآله. أمر بعمارته وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين خادم الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس أبو المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين أدام الله أيامه ونصر أعلامه في أيام الأمير الاسفهسلار الكبير سيف الدين علي بن أحمد أعزه الله سنة سبع وثمانين وخمسماية للهجرة النبوية - ١١٩١ م.»

هناك، على جانب القبة، بلاطة وضعت بعدئذ وقد كتب عليها باللغة التركية أسم علي آغا ابن يوسف آغا بتاريخ ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م.

وهناك قبة بهذا الأسم بين المسجد الأقصى وجامع المغاربة. وهي أيضًا من المنشآت التي قامت في الحرم في التاريخ نفسه.

٩١ - (القبة النحوية) جنوبي صحن الصخرة إلى الغرب وعند الدرج الكائن تجاه باب السلسلة. تولى عمارتها متولي القدس الشريف الأمير حسام الدين أبو سعيد عثمان ابن عبد الله المعظمي. وذلك بأمر من الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٤ هـ ـ ١٢٠٧ م. مكتوب على هذه القبة:« انشأها الملك المعظم شرف الدين أبو المنصور عيسى ولد مولانا الملك

العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب على يد الأمير حسام الدين أبي سعد قمباز الوالي بالبيت الشريف سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م .»

٩٢- (قبة الشيخ الخليلي) في صحن الصخرة وعلى بعد بضعة أمتار من قبة المعراج إلى الشمال الغربي. قيل أن الذي انشأها هو الشيخ الخليلى. وكان قد أتخذها لقراءة الورود والاعتكاف. وقد وقف عليها أوقافًا تستفيد من ريعها أفراد أسرته. حتى إذا انقرضت هذه الأسرة صرف الريع كله على القبة. في داخلها كهف ينزل إليه في درج. وعلى بابها من الناحية الشرقية نقشت بعض أبيات من الشعر لم نستطع أن تتبين منها سوى بضع كلمات يفهم منها أن الذي انشأها هو حاكم القدس محمد (.....) وإليك البيت الأخير منها وهو واضح:

محمد له الهنا تاريخها

قلنا أدخلوها بسلام آمنين

٩٣- (قبة الخضر) واقعة في الطرف الأخير لصحن الصخرة من الشمال الغربي. وهي قبة صغيرة مرفوعة على ستة أعمدة من الرخام. تحتها زاوية يسمونها (زاوية الخضر). كانت فيما مضى عامرة. والآن مهجورة. روى المشرقي أن تحت المقام الغربي مما يلي قبة الصخرة صخرة صغيرة تسمى (نج نج) وعليها مكان يدعى (موضع الخضر). ذكره مجير الدين فقال إنه كان يومئذ مهملًا. وكان مستعملًا كمخزن للمسجد.

وهـو في أسـفل صحـن الصخـرة تجـاه بـاب الحديـد. وعـلى ظهـر هـذا المـكان محـراب مـن رخـام يعـرف بمغـارة الأرواح.

٩٤- وفي فنـاء الصخـرة سـت عـشرة غرفـة: خمـس منهـا في طرفـه الأقـصى من الغـرب. وعـشر في طرفـه الأخـير مـن الشـمال. وواحـدة في الجهـة الشرقيـة. لا نعلـم مـن الـذي انشـأ هـذه الغـرف ومتـى؟ وإنمـا نعلـم أنهـا أنشـئت خصيصًـا ليجلـس فيهـا سـدنة المسـجد ورجالـه مـن أئمـة وخطبـاء ومؤذنـين ومدرسـين حتـى والجنـد الذيـن تقيمهـم السـلطة لأجـل الحراسـة. فإنـك إذا مـا بحثـت عـن هـذه الغـرف قيـل لـك إن هـذه العائلـة الأمـام.. وتلـك لآل الخطيـب.. والعـوري.. والأنصـاري .. والراغـب .. والفتيـاني .. وجـار اللـه .. والحسـيني وهكـذا دواليـك. إنهـا، عـلى اعتقـادي، مـن منشـئات القـرن الثـاني عـشر للهجـرة ومـا بعـد.

وهناك في سـاحة الحرم التحتانية قباب. نذكر منها:

٩٥- (قبـة مـوسى)واقعـة عـلى مسـطبة بـين بـاب السلسـلة والزاويـة الجنوبيـة الغربيـة مـن الحـرم. ذكرهـا مجـير الديـن فقـال أنهـا أنشـئت مـن قبـل الملـك الصالـح نجـم الديـن أيـوب ابـن الملـك الكامـل سـنة ٦٤٩ هـ - ١٢٥١ م وكانـت تدعـى عـلى عهـده (قبـة الشـجرة). وأمـا التاريـخ المـدون عـلى جدارهـا الشـمالي فـوق البـاب فقـد جـاء فيـه:

« بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم. أمـر بعـمارة هـذا المـكان مولانـا السـلطان

الملك الصالح نجم الدنيا والدين ابن الملك الكامل في شهور سنة سبع وأربعين وستماية - ١٢٤٩ م».

٩٦- (قبة سليمان) محكمة البناء وفي داخلها صخرة ثابتة. وهي واقعة إلى الجنوب الغربي من باب الدويدارية شمالي الحرم. ويقول مجير الدين أن البناء الذي عليها من منشئات بني أمية. وهذا هو المعقول.

ذكرها العمري في الصفحة ١٦٥ من كتابه (مسالك الأبصار) فقال إنها أمام السلم الذي يصعد منه إلى الخانقاه الاسعردية والمدرسة السيفية آل ملك. لها باب يفتح من الشمال. تجد فيه عمودين من رخام ومسطبتين من اليمين واليسار. وبجانب الباب المذكور شباكان مطلان على هاتين المسطبتين. القبة مثمنة. والتثمينات مسدودة. بها أربعة وعشرون عمودًا من الرخام. طول كل عمود - خلا القواعد - ذراعان ونصف ذراع. في كل تثمينة أربعة أعمدة حاملة للرخامة التي في عقد القناطر. وفي نهاية العمد - عند نهاية كرسي القبة - طاقات زجاج بدائرها. وعلى يمنة المصلي في المحراب صخرة صغيرة طولها ذراعان وربع. وعرضها ذراع . يدعو الزائر عندها. ويقال إنها من آثار سليمان.

٩٧ - (جامع المغاربة) غربي الحرم إلى الجنوب. عندما ذكره مجير الدين قال إنه - على ما يظهر - من بناء عمر. ثم قال: ويحتمل أن يكون أمويًا. تصلى فيه صلاة المالكية. وقد جددت عمارته في زمن الأتراك العثمانيين. إذ أنك ترى فوق بابه الشرقي من داخل الحرم الكلمات التالية:

« قد أمر بتعمير هذا المسجد المالكي الشريف والمبارك المنيف السلطان خاقان البرين وخادم الحرمين الشريفين حامي القبلتين مولانا السلطان عبد العزيز خان ابن السلطان الغازي محمود خان من آل عثمان أعز الله تعالى ملكه وجعل له الدنيا مملوكة سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م .»

٩٨- (محراب داود) بالسور القبلي عند مهد عيسى وإلى الشرق من المسجد الأقصى. جددت عمارته في زمن الملك المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م.

٩٩- وهناك في فناء الصخرة وفي ساحة الحرم القدسي عدة مساطب أعدت للصلاة والتدريس في فصل الصيف، نذكر منها:

(مسطبة الكرك) في الزاوية الشرقية الجنوبية من فناء الصخرة. ومنها يشاهد المرء مدينة الكرك. أنشئت يوم تم تبليط الفناء.

(مسطبة علاء الدين البصيري) إلى الشرق من باب الناظر وعلى بعد بضعة أمتار منه. أنشأها سيف الدين جركس الناصري حوالي سنة ٨٠٠ للهجرة - ١٩٣٧ م ويسمونها أيضًا (محراب جركس).

وبالقرب من هذه المسطبة مسطبة أخرى عليها شجرة ميس محددة. عمرها الأمير بلوي الظاهري ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس. وكان ذلك بتاريخ ٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م وهو الذي عمر المحراب الذي على هذه المسطبة.

(مسطبة العشاق) إلى الجنوب الشرقي من الباب العم شمالي قبة سليمان بالضبط. إنها مسطبة مفتوحة للصلاة. وعليها محراب. وفوق المحراب بلاطة من الرخام نقشت عليها الكلمات الآتية بالنسخ العثماني:«جدد هذا المحراب الشريف في أيام مولانا السلطان سليمان أبن السلطان سليم خان أيد الله ملكه.»

والمظنون أن ذلك تم في نفس الوقت الذي انشيء فيه السبيل الذي بالقرب منها. أي في شعبان من سنة ٩٤٣هـ - ١٩٣٦ م.

ومن الذين تولوا عمارتها في العهود الأخيرة متولى الوقف قرة بيقلي محمد درويش.

مآذن الحرم

•••

١٠٠- للحـرم للقـدسي، في يومنا هذا، أربع مآذن هي:

١- مئذنة باب المغاربة

٢- مئذنة باب السلسـلة

٣- مئذنـة باب الغوانمة

٤- مئذنة باب الأسباط

إن لكل مئذنة مؤذنًا. والمسـؤول عن المؤذنين كلهم هو شـيخ الحرم.

١٠١- (مئذنـة بـاب المغاربـة) واقعـة غـربي الحـرم إلى الجنـوب. ويسـمونها أيضًـا المنـارة الفخريـة. ذكرهـا مجـير الديـن فقـال لعلهـا بنـاء صاحـب الفخريـة القـاضي شرف الديـن عبـد الرحمـن بـن الصاحـب الوزيـر فخـر الديـن الخليـلي ناظـر أوقـاف الحرمـين الشريفـين بمكـة والمدينـة وحرمـي القـدس الشريـف والخليـل (سـنة ٦٧٧ هــ ١٢٧٨م).

هـدم المجلـس الإسـلامي الأعـلى حـوالي سـنة ١٣٤١ هــ - ١٩٢٢ م النصـف الأعـلى لهـذه المئذنـة وكان متصدعًـا، وأعـاد بنـاءه عـلى طـراز عـربي أنيـق.

١٠٢- (مئذنة باب السلسلة) واقعة غربي الحرم فوق باب السكينة بالتمام. بناها الأمير سيف الدين تنكز الناصري نائب الشام (٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م) عندما بنى مدرسته الشهيرة بالمدرسة التنكزية. وقد سميت بعدئذ منارة المحكمة، وذلك عندما أتخذت المدرسة المذكورة محكمة. جدد المجلس الإسلامي الأعلى حوالي سنة ١٩٢٢ م قبة المئذنة وزخرفها.

١٠٣- وأما (مئذنة باب الغوانمة) فإنها واقعة شمالي الحرم إلى الغرب. ويسمونها أيضًا منارة قلاون. أنشأها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي الذي تقدم ذكره. وكان ذلك بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م.

ولقد جددها الأمير تنكز في زمن الملك الناصر محمد سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م. وهناك على حائطها وعلى حجر كلسي كتابة بالنسخ المملوكي تقول:« بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بعمارة هذه المنارة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر .... في سنة ثلاثين وسبعماية.» وقد سميت يومئذ منارة السرايا.

بنيت هذه المئذنة، على رأي بعض مؤرخي الفرنجة، من حجارة هي في الأصل من بقايا الأماكن والأبنية التي أنشئت في العهود الصليبية والتي دكها الفرس. وقد كان هناك بعض الأصنام الحجرية منقوشة على جوانب المئذنة حطمها المسلمون فيما بعد.

جدد المجلس الإسلامي الأعلى، حوالي سنة ١٣٤٦ هـ - ١٢٩٧ م، قسم الشرفة والرفرف وما فوقه من هذه المئذنة.

١٠٤- وأما (مئذنة باب الأسباط) فإنها واقعة شمالي الحرم إلى الشرق، بين باب الأسباط وباب حطة. ويسمونها أيضًا منارة إسرائيل. أنشئت سنة ٧٦٩ هـ - ١٣٦٧م. وهناك على بابها بلاطة نقش عليها بالنسخ للملوكي الكلمات التالية:

« أنشأ هذه المنارة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن بن السلطان الملك الناصر محمد أبن قلاون خلد الله ملكه الأمير سيف الدين المقر الأشرفي السيفي قطلوبغا ناظر الحرمين الشريفين أعز الله نصره في تاريخ سنة تسع وستين وسبعماية - ١٣٦٧ م.»

تصدع القسم العلوي لهذه المئذنة بسبب الزلزال الذي حدث سنة ١٣٤٦ هـ فهدمه المجلس الإسلامي الأعلى، وأعاد بناءه على نمط جميل.

أروقة الحرم

•••

هنـاك في الطـرف الأخـير مـن الحـرم إلى الغـرب أروقـة محكمـة البنـاء. وفي الطـرف الأخـير منـه إلى الشـمال أروقـة أيضًـا لا تقـل عنهـا أحكامًـا.

١٠٥- أمـا الأروقـة الغربيـة، وهـي التـي تمتـد مـن نقطـة قريبـة مـن بـاب الغوانمـة في الشـمال إلى بـاب المغاربـه في الجنـوب، أنشـئت عـلى عهـد الملـك النـاصر محمـد بـن قـلاون. وقـد تـم ذلـك في تواريـخ مختلفـة، ولكنهـا متقاربـة.

فالـرواق الممتـد مـن بـاب الغوانمـة إلى بـاب الناظـر عمـر سـنة ٧٠٧ هـ - ١٣٠٧ م. وقـد كتـب عـلى الحائـط القبـلي لبـاب الناظـر هـذه الكلـمات:

« أنشـئ هـذا الـرواق المبـارك في أيـام مولانـا السـلطان الملـك النـاصر نـاصر الدنيـا والديـن محمـد قـلاون أعـز اللـه أنصـاره بنظـر العبـد الفقـير إلى اللـه بلفـاق بـن جفـان الخوارزمـي تقبـل اللـه منـه وذلـك في سـنة سـبع وسـبعماية.»

وأمـا الـرواق الممتـد مـن بـاب الناظـر إلى بـاب القطانـين فقـد انـشيء سـنة ٧٣٧ هـ - ١٣٣٦ م.

وكذلـك قـل عن الرواق الممتد من باب القطانين إلى باب السلسـلة.

وأمـا الـرواق الممتـد مـن بـاب السلسـلة إلى بـاب المغاربـة فقـد عمـر سـنة

٧١٣ هـ - ١٣١٣ م. وإنك لواجد الكلمات التالية منقوشة بالنسخ المملوكي على بلاطة من رخام وضعت فوق النافذة الشمالية الشرقية من نوافذ المدرسة التنكزية جنوبي باب السلسلة:

« بسم الله الرحمن الرحيم، انشيء هذا الرواق في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون أعز الله أنصاره بنظر الأمير شرف الدين موسى بن حسن الهدباني في سنة ثلاث عشرة وسبعماية.»

١٠٦- وأما الأروقة الشمالية، وهي التي تمتد من باب الأسباط في الشرق إلى نقطة قريبة من باب الغوانمة في الغرب، فإليك تاريخ انشائها:

أما الرواق الممتد من باب الاسباط إلى باب حطة فقد بني في سلطنة الملك الأشرف شعبان في سنة ٧٦٩ هـ ـ ١٣٦٧ م.

وأما الرواق الممتد من باب حطة إلى باب شرف الأنبياء فالظاهر أن الذي عمره هو الملك الأوحد.

وأما الرواق الممتد من باب شرف الأنبياء إلى آخره من جهة الغرب وعلى ظهره خمس مدارس؛ فإن بعضها، وهو الذي في أسفل المدرسة الامينية والمدرسة الفارسية، كان قديمًا ثم جددت عمارته في دولة الملك المعظم عيسى ٦١٠ - ١٢١٣ م.

وتجد مكتوبًا على جدار باب شرف الأنبياء:

« جدد هذا الرواق في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك

المعظم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن أيوب خلد الله ملكه سنة ٦١٠ هـ والحمدلله وحده في ولاية الأمير الأمجد عز الدين بن عمر بن يعقوب.»

وباقيه وهو الذي في أسفل ثلاث مدارس هي الملكية والاسعردية والصبيبية فكل مدرسة بني معها ما تحتها من الرواق.

أما الرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة فإنهما عمرا مع منارة الغوانمة. وكتب عليها تاريخ عمارتهما (٧١٣ هـ - ١٣١٣ م). أي أن الذي جددها هو الأمير تنكز في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون. وهناك فوق هذين الرواقين رواقان ذكرهما مجير الدين فقال إنهما مستجدان وقد انشئا بعدهما بدهر.

١٠٧- إن أكثر الأروقة التي ذكرناها في الأسطر المتقدمة قد سد على عهد الأتراك العثمانيين، وأتخذ مساكن لإيواء المهاجرين والمحتاجين من فقراء المسلمين. ولما تولى شؤون المسلمين المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى برئاسة المفتي الأكبر الحاج أمين أفندي الحسيني أزال الجدران الخارجية وأرجع الأروقة إلى ما كانت عليه في زمن المماليك. إلا جزء منها وهو الكائن بين باب السلسلة وباب المغاربة فقد أتخذ حوضًا تتجمع فيه المياه. وبقي على هذا الحال إلى يومنا هذا.

أبواب الحرم

•••

١٠٨- للحـرم القـدسي، في يومنـا هـذا، عـشرة أبـواب مفتوحـة، وأربعـة مغلقـة. أمـا الأبـواب المفتوحـة فهـي:

١ - باب الأسباط

٢ - باب حطه

٣ ـ بـاب شرف الأنبيـاء (البـاب العتـم. بـاب الدويداريـة. بـاب الملـك فيصـل)

٤ ـ بـاب الغوانمـة (بـاب درج الغوانمة. باب الخليل. باب الوليد)

٥ـ بـاب الناظـر (باب علاء الدين البـصي . باب الحبس. باب ميكائيل)

٦- بـاب الحديد (باب أرغون)

٧ - باب القطانين

٨- بـاب المتوضأ (باب المطهرة)

٩- باب السلسـلة (باب داود)

١٠ - بـاب المغاربة (باب النبي)

وأما الأبواب المغلقة فهي:

١- باب السكينة (الباب المغلق. باب السحرة)

٢ - باب الرحمة

٣- باب التوبة

٤- باب البراق (باب الجنائز. الباب الذهبي)

١٠٩ - (باب الأسباط) واقع شمالي الحرم إلى الشرق. وهو قديم العهد جدًا. مكتوب على هذا الباب من الداخل من الجهة الشرقية:« أمر بإنشاء هذا الباب مولانا السلطان سليمان بن سليم خلد الله ملكه بتاريخ سنة خمس وأربعين وتسعماية هـ - ١٥٣٨ م .»

وفي ناحية أخرى: «مرحوم جنت مكان سلطان سليم خان حضر تلرينك تربتجيسي مرحوم الحاج حسن آغا اشبو باب اسباطي حسبة الله وطلبًا لمرضاة الله تعميرًا يلدى».

١١٠- (بـاب حطـة) واقـع في وسـط ناحيـة الحـرم الشـمالية، وهـو مـن أقـدم الأبـواب. جـددت عمارتـه في زمـن الملـك المعظـم شرف الديـن عيـسى سـنة ٦١٧ هــ ١٢٢٠ م. يدلـك عـلى ذلـك كتابـة منقوشـة عـلى البـاب تقول:« جـدد هـذا البـاب في أيـام دولـة السـلطان الملـك المعظـم شرف الديـن عيـسى بـن الملـك العـادل سـيف الديـن أبي بكـر بـن أيـوب. وذلـك في رجـب مـن سـنة سـبع عـشرة وسـتماية.»

ذكره مجير الدين وفان برشـام وبالامر وغيرهم كثيرون.

١١١- (بـاب شرف الأنبيـاء) واقـع شـمالي الحـرم، بـين بـاب حطـة وبـاب الغوانمـة. يسـميه المقدسـيون البـاب العتـم. وقديمًـا كان يعـرف ببـاب شرف الأنبيـاء، قـال مجـير الديـن لعلـه هـو البـاب الـذي دخـل منـه عمـر بـن الخطـاب يـوم الفتـح. وفي زمـن المماليـك كانـوا يسـمونه بـاب الدويداريـة أو الدوادارية نسـبة إلى المدرسـة المسـماة بهـذا الاسـم والتـي بنيـت بجانبـه مـن الـشرق. وقـد سـماه المجلـس الإسـلامي الأعـلى بـاب الملـك فيصـل نسـبة إلى الملـك فيصـل بـن الحسـين ملـك العـراق الـذي مـر بـه يـوم زار الحـرم (١٩٣٠م).

١١٢- (بـاب الغوانمـة) واقـع شـمالي الحـرم إلى الغـرب، ويسـمونه اليـوم خطئًـا(بـاب الغوارنـة). وعـلى قـول مجـير الديـن أنـه سـمي كذلـك لأنـه ينتهـي إلى حـارة بنـي غانـم. وكان يعـرف قديمًـا ببـاب الخليـل. وقـال المقـدسي إنـه كان في القـرن الرابـع للهجـرة يسـمى بـاب الوليـد.

١١٣-(باب الناظر) واقع غربي الحرم إلى الشمال. ويسمونه باب علاء الدين البصير باختصار باب البصير وباب الحبس. لأن الخارج منه يرى السجن الذي كان هناك على عهد الأتراك العثمانيين. ذكره مجير الدين فقال أنه باب قديم. جددت عمارته في زمن الملك المعظم عيسى (٦٠٠ هـ - ١٢٠٣ م) وكان قديمًا يعرف بباب ميكائيل.

إن جميع ما في داخل هذا الباب من الأقبية والساحة وقفه الأمير علاء الدين آيد غدى الركني على الفقراء القادمين لزيارة القدس الشريف في سنة ٦٦٦ هـ - ١٢٦٧ م وكان ذلك في زمن الملك الظاهر بيبرس.

١١٤- (باب الحديد) واقع غربي الحرم. وهو باب قديم. جدد بناءه أرغون الكاملي من رجال الملك الكامل شعبان. كان نائب الملك بالشام. وقد توفي سنة ٧٥٨ هـ - ١٣٥٦ م. ويسمونه أحيانًا باب أرغون نسبة إلى مجدده أرغون.

وهو مؤسس المدرسة الأرغونية الكائنة على بعد بضعة أمتار من الباب المذكور إلى الغرب وعلى يسار الخارج من الحرم.

١١٥- (باب القطانين) واقع غربي الحرم باتجاه قبة الصخرة. جدد عمارته الأمير تنكز الناصري ٧٣٧ هـ ١٣٣٦ م على عهد السلطان الملك الناصر بن قلاون. ذكره مجير الدين في كتابه (الأنس الجليل) والعمري

في كتابه (المسالك) وأبو المحاسن في كتابه (المناهل) فقالوا أن تنكز هذا عمر بجوراه حمامان ورباطان وقياصر (خانات). والحمامان هما: حمام الشفا في داخل سوق القطانين للشرق، وحمام العين في آخره للغرب. مخرج السوق متصل بطاحون. وفي داخله خان يدعى(خان اوتوزبر) وهو من إنشاء تنكز.

هدم المجلس الإسلامي الأعلى، حوالي سنة ١٩٢٢، جميع الأبنية الواهية التي أنشئت في الأزمنة السابقه على قبة باب القطانين وعلى ما حوله من أروقة. وغربي هذا الباب سوق طولها مئة متر على وجه التقريب وعرضها عشرة أمتار. وفيها خمسون دكانًا. كانت فيما مضى عامرة والآن (١٩٤٧) ينعق فوقها يوم الخراب. إلا ثلاثة دكاكين في منتهى السوق من ناحية الغرب فإنها عامرة. يعمل فيها مبيضو النحاس.

١١٦-(باب المتوضأ) واقع على قيد بضع خطوات من باب القطانين إلى الجنوب ويسمونه باب المطهرة. ذكره مجير الدين فقال إنه قديم. وقد جدد عمارته علاء الدين آيد وغدي البصير، عندما عمر المتوضأ (٦٦٦ هـ - ١٢٦٧م).

١١٧-(باب السلسلة) واقع غربي الحرم تجاه الدرج الموصل إلى فناء الصخرة عند قبة النحوية. وهناك في الحقيقة بابان: الجنوبي منها مفتوح وهو المسمى بباب السلسلة والشمالي مغلق ويسمونه باب السكينة أو الباب المغلق وباب السحرة. قيل أنه سمي السكينة لأن

هنـاك تابـوت السـكينة الـذي ورد ذكـره في القـرآن والـذي حملـه الملائكـة.

كان بـاب السلسـلة قديمًـا يعـرف ببـاب داود. ذلـك لأن النـاس كانـوا يخرجـون منـه إلى الشـارع الكبـير الـذي كان يعـرف فيـما مـضى بخـط داود. وهنـاك سـوق كبـيرة كانـت ولا تـزال معروفـة بأنهـا مـن أعظـم أسـواق المدينـة.

١١٨- (بـاب المغاربـة) واقـع غـربي الحـرم إلى الجنـوب. سـمي كذلـك لأنـه مجـاور لجامـع المغاربـة. وينتهـي إلى الحـارة المعروفـة بهـذا الاسـم أيضًـا. وكانـوا قديمًـا يسـمونه بـاب النبـي.

١١٩- هـذه هـي الأبـواب المفتوحـة في الحـرم. وإن اليهـود المتدينـين يرفضون دخـول الحـرم مـن أي بـاب مـن أبوابـه لئـلا يتهمـون بعـدم احـترام التـوراة التـي قيـل لهـم أن حاخاميهـم في الأزمنـة الغابـرة دفنوهـا في مـكان مـا عنـد أبـواب الحـرم. وفي سـفر العـدد ١٩-٢ الـشيء الكثـير عـن هـذا الموضـوع. فليرجـع إليـه مـن رغـب في المزيـد.

١٢٠- ليـس للحـرم مـن ناحيتـه الشرقيـة أبـواب مفتوحـة في يومنـا هـذا، وإنمـا كان هنـاك عـلى قـول مجـير الديـن بابـان متحـدان أحدهـما (بـاب الرحمة)وثانيهـما (بـاب التوبـة). وقـد كانـا يومئـذ مغلقـين. وعليهـما مـن داخـل المسـجد مـكان معقـود بالبنـاء السـليماني. ولم يبـق في المسـجد مـن

البناء السليماني سوى البناء الذي يسميه المقدسيون في يومنا هذا (توما توما). ومن فوقه الزاوية التي أقام بها الغزالي عندما هبط بيت المقدس. والذي أغلق هذين البابين هو عمر بن الخطاب خشية على المسجد والمدينة من العدو. إذ ينتهيان إلى البرية. وليس في فتحهما كبير فائدة.

قال مجير الدين إنه كان هناك بالسور الشرقي وعلى مقربة من البابين المغلقين المتقدم ذكرهما إلى القبلة باب آخر. وإن هذا الباب المغلق أيضًا كانوا يسمونه باب البراق أو باب الجنائز. إذ كانت الجنائز في العهود الغابرة تخرج منه إلى المقبرة الواقعه خلف السور من الشرق. كان هذا الباب في زمن هيرودس يدعى (باب سوزان). وقد دخل منه هرقل يوم جاء إلى بيت المقدس سنة ٦٣٩ م. وسمي بعدئذ بالباب الذهبي.

ولعل هذا الباب هو الذي ذكره المستر بيرسون فسماه الباب الذهبي. وقال إن السيد المسيح دخل منه في أحد الشعانين.

وهناك في جدار الحرم من الناحية الجنوبية بابان مسدودان (في الأقصى القديمة) والاعتقاد سائد بأن عمر بن الخطاب دخل منها يوم الفتح. وفي غربي ساحة الحرم من الناحية الجنوبية بين باب حارة المغاربة وباب السلسلة بابان مسدودان. والاعتقاد سائد بأن النبي (صلعم) دخل منها ليلة معراج.

١٢١ - هـذه هـي أبـواب الحـرم المفتوحـة منهـا والمغلقـة. ومـن أي بـاب دخلـت رأيـت أمامـك المبـاني العظيمـة والقبـاب الشـامخة والأروقـة الجميلـة والأعمـدة المختلفـة الأشـكال والألـوان. وإنهـا لآثـار بديعـة تـدل عـلى مـا وصـل إليـه الفـن المعـماري مـن الكـمال، والـذوق العـربي مـن الجـمال في العصـور الإسـلامية الفائتـة.

مياه الحرم

•••

١٢٢- يـؤم الحـرم، منـذ الفتـح الإسـلامي إلى يومنـا هـذا، الآف مـن المسـلمين خمـس مـرات في اليـوم لإداء صلواتهـم الخمـس. كذلـك قـل عنهـم في رمضـان والأعيـاد وفي سـائر المناسـبات الأخـرى التـي تتطلـب الصـلاة. ومـن البدهـي أن الوضـوء شرط مـن شروط الصـلاة، لا تصـح هـذه بدونـه. فمـن أيـن كان المسـلمون الذيـن يفـدون إلى الحـرم يشربـون ويتوضـؤن. هـذا مـا نـود أن نعالجـه في فصلنـا هـذا.

١٢٣- لقـد حدثنـا التاريـخ أنـه كان في الحـرم آبـار كثـيرة ... فقـد ذكـر العمـري في كتابـه مسـالك الأبصـار سـبعة صهاريـج في صحـن الصخـرة: منهـا في الناحيـة القبليـة (بـئر الرمانـة)، وفي الناحيـة الشرقيـة (بـئر الشـوك) و(بـئر الـورد). وفي الناحيـة الشـمالية (بـئر الجنـة). وفي الناحيـة الغربيـة ثـلاث آبـار أحداهـا تعـرف بــ (الـكاس).

وعـد العمـري في أسـفل الحـرم خمسـة عـشر صهريجًـا. منهـا سـتة في الجهـة القبليـة: واحـد بالقـرب مـن الزاويـة الفخريـة. وثـان ببـاب المسـجد، و (بـئر الورقـة) ولـه بابـان أحدهـما داخـل بـاب المسـجد والآخـر في مـكان يعمـل فيـه نجـارة الحـرم. و (البـئر الأسـود) ولـه ثلاثـة أبـواب. و (بـئر البحـيرة) ولـه بابـان، وبـئر في الحاكـورة التـي عنـد البـاب الشرقـي.

وفي الجهـة الشرقية ثلاث آبـار: أحداها بالقرب من باب الرحمة.

وفي الجهة الشمالية ثلاث آبار هي: بئر بركة بني إسرائيل، وبئر باب شرف الأنبياء، وبئر بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوي وخانقاه الاسعر دي.

وفي الجهة الغربية ثلاث آبار: أحداها بباب الغوانمة، والثانية عند باب الرباط المنصوري، والثالثة عند باب الحديد.

قال العمري أن الآبار الأثنين والعشرين المتقدم ذكرها عامرة يستقي منها المحتاج والعطشان. وهناك ثلاثة صهاريج خربة ومعطلة: واحد عند درج الميزان، والثاني عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون الشرقي.

وأما مجير الدين فقد عد في كتابه (الأنس الجليل) ٩٠٠ هـ - ١٤٩٤ م أربعًا وثلاثين بئرًا: أحداها وهي الكبرى كائنة في المسجد الأقصى وتدعى (بئر الورقة). وسبع منها في صحن الصخرة. والباقية في أرض الحرم حول صحن الصخرة من الجهات الأربع.

وقال بعض السياح والمؤرخين أن الصهاريج التي في ساحة الحرم تستوعب ما لا يقل عن عشرة ملايين جالون من الماء.

١٢٤- ولقد أحصيت الآبار الكائنة في الحرم في يومنا هذا (١٩٤٧) فوجدتها سبعًا وعشرين: خمس وعشرون منها عامرة وفيما يلي مواضعها:

ثماني آبار في صحن الصخرة: اثنتان في شمال الصخرة بالتمام أحداهما (بئر باب الجنة) ٢٥ × ٢٠. واثنتان إلى الشمال الغربي أحداهما (بئر

الشيخ الخليلي) ٣٣×٢٠. واثنتان غربي المسجد بالتمام أحداهما (بئر الصخرة). وبئر شرقي المسجد من ناحية الشمال (بئر العصافير). والثامن قبلي المسجد بالتمام (بئر الرمانة) ١٧ ×٧٥. ولهذه البئر بابان أحدهما في صحن الصخرة والثاني بين الصحن والسور الشرقي.

وإلى الغرب من ساحة الحرم ست آبار هي من الشمال إلى الجنوب): (بئر باب الغوانمة) أمام دار الصلاحي. و (بئر باب المجلس) أو (بئر السبيل)

٣٠ × ١٨ عند الباب المعروف بباب علاء الدين الاباصيري، عليها قبة ولها بابان. و (بئر سبيل شعلان) ٢٥ × ٢٠ بين باب المجلس والدرج المؤدي إلى صحن الصخرة، عليه قبة. و (بئر الخلوة) تجاه باب القطانين. و (بئر قايتباي) بين باب القطانين ودرج الصخرة، عليها قبة ولها ثلاثة أبواب.

و (بئر القبة) تجاه باب المغاربة.

وفي الناحية الجنوبية من ساحة الحرم قريبًا من المسجد الأقصى سبع آبار هي:

(بئر أبي السعود) ٣٥ × ٢٧ بين جامع المالكية والمسجد الأقصى، عليها قبة. و(بئر السروات) شرقي الكاس. و (البئر الأسود) ٤٥ × ٤٢ إلى الشرق من باب الأقصى القديم وهي من أكبر آبار الحرم. لها أربعة أبواب. و (بئر البحيرة) ٢٠ × ٢٨ شرقي البئر الأسود. و (بئر الخضر) ٣٠×٣٠ بين المسجد الأقصى من الشرق والسور. ولها بابان. و (بئر البلاط) ٤٠ × ١٥ قبلي بئر الخضر وبلصق السور القبلي. و (بئر الورقة) ١٩ × ١٧ شمال

الأقصى. ولهذه البئر بابان أحدهما داخل المسجد والثاني خارجه. وبابه الذي كان داخل المسجد سد في السنوات الأخيرة.

وفي شرق الحرم ثلاث آبار: (بئر سليمان) ٢٠ × ١٥ عند باب التوبة. و (بئر الزيتونة) ٢٠ × ٢٠ عند غرفة الغزالي. و (بئر الصوانة) ١٥ × ٥ غربي بئر الزيتونة.

وفي شمال الحرم بئر كبيرة عامرة، يسمونها (بئر الست اكرامية) ٤٠ × ٢٥ تقع بين باب الأسباط وباب حطة.

١٢٥- إن هذه الآبار، على كثرتها ووفرة ما فيها من مياه، قصرت مع الزمن عن حاجة سكان المدينة الذين كانوا يستقون منها ولا سيما في أعوام الجدب، لا من أجل صلواتهم فحسب، بل من أجل الشرب والحاجات المنزلية الأخرى. ففكر المسؤولون بالأمر وانشأوا المكان المعروف بـ (السقاية) أو (المتوضأ). وهو واقع غربي الحرم. وأتوا إليه بالماء من العروب وبرك سليمان في خارج المدينة. وعلى قول أن هذا المشروع قد تم في سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م وعلى عهد الملك العادل أبي بكر. ولكنا لا نعلم إلا النذر اليسير عن كيفية جر الماء إلى هذا المكان. وكل ما نعلمه أن القناة التي كان الماء يسيل فيها من العروب وبرك سليمان إلى القدس كانت تسمى (قناة السبيل). ويظهر أن هذه القناة قد أصابها عطب مع الزمن فعمرها الأمير تنكز الناصري. كما عمر البركة المصنوعة من الرخام، والكائنة بين مسجدي الصخرة والأقصى (٧٢٨ هـ - ١٣٢٧ م). وتعرف هذه البركة في يومنا هذا بـ (الكاس).

وقد عمرت هذه مرة أخرى في زمن السلطان قايتباي فأصبحت المياه تصل إلى القدس بسهولة. وهو الذي عمر السبيل الكائن أمام المتوضأ والمعروف بسبيل قايتباي (٨٨٨ هـ - ١٤٨٣ م). كما عمر الكاس الذي تقدم ذكره.

ويظهر أن حالة المياه في الحرم قد تحسنت تحسنًا مذكورًا بعد تعمير قناة السبيل. فأنشئت فيه وفي جواره سبل عديدة بعد ذلك التاريخ. نذكر منها:

١٢٦- (سبيل باب الحبس) ويسمونه (سبيل علاء الدين البصيري) على قيد أمتار من باب الناظر إلى الشمال الشرقي. إنه عامر، وفيه بئر غزيرة الماء. عندما ذكرها برشام قال « إنها بئر قديمة. جددها قايتباي. وإن ذلك جرى في سنة ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م.» ولما قرأت هذه السطور قلت إن في الأمر لسرًا. إذ أن بين هذا التاريخ (٧٨٣هـ - ١٣٨١ م) وبين السلطان قايتباي جيلًا كاملًا تولى السلطنة خلاله مالا يقل عن عشرة من المماليك. فإما أن يكون التاريخ مضبوطًا وهذا يعني أن البئر حفرت فيه ومن لدن سلطان غير قايتباي، ولما جاء قايتباي جددها وحفر أسمه عليها دون أن يفطن إلى تغيير التاريخ. وأما أن تكون البئر من أعمال قايتباي نفسه. ولكن التاريخ مغلوط. فوضع الحفارون سهوًا ٧٨٣ هـ - بدلًا من ٨٨٣ هـ.

ورغبة في جلاء هذة النقطة زرت في اليوم العشرين من شهر فبراير ١٩٢٠ الحرم خصيصًا فوجدت في أعلى واجهة السبيل من القبلة بلاطتين

واحدة إلى الشرق والثانية إلى الغرب. وتمكنت من قراءة السطور التالية:

« بسم الله الرحمن الرحيم. جدد هذا البئر في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي وذلك بنظر المقر الحسامي قبجا نائب السلطنة الشريفة وناظر الحرمين الشريفين أعز الله أنصاره. وسعى في عمارته العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج إبراهيم الرومي غفر الله له ولجميع المسلمين واشرط الاستسقا منه للفقير بتاريخ جمادي الآخيرة سنة ٨٣٩ هـ - ١٤٣٥ م .»

١٢٧- (سبيل قايتباي) من أشهر السبل القائمة في وسط الحرم. واقع في الساحة الكائنة بين باب السلسلة وباب القطانين وعلى بعد خمسين مترًا من جدار الحرم الغربي. إذا نزلت الدرج الكائن غربي مسجد الصخرة واتجهت نحو باب المطهرة وجدته على يسارك. انشأه، في بادئ الأمر، الملك الأشرف اينال (٨٦١ هـ - ١٤٥٥ م) ثم جدده الملك الأشرف قايتباي (٨٨٧ هـ - ١٤٨٢ م) ثم جدده السلطان عبد الحميد خان (١٣٠٠ هـ - ١٢٨٢ م).

مبني فوق مسطبة واسعة مساحتها ١٥ × ١٥ مترًا. وله قبة جميلة، تحتها بئر كبيرة عامرة. وهناك في الطرف العلوي إفريز يحيط بجدران السبيل الأربعة نقشت عليه السطور التالية بالخط المصري الجميل:

« بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذا السبيل المبارك مولانا الملك الأشرف اينال. ثم جدده سلطان الإسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين ناشر العدل في العالمين السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أعز

اللـه أنصـاره في شـهر شـوال المبـارك سـنة سـبع وثمانـين وثمانمايـة. ثـم جـدده الخليفـة الأعظـم والسـلطان المفخـم السـلطان الغـازي عبـد الحميـد خـان بـن السـلطان الغـازي عبـد المجيـد خـان مـن آل عثـمان أعـز اللـه ملكـه في شـهر رجـب الفـرد سـنة ثلاثمايـة وألـف.»

والمـاء الـذي يسـيل في هـذا السـبيل نوعـان: مـاء المطـر، ومـاء يجـري إليـه مـن (رأس العـين) إلى المدينـة في أنابيـب مـدت عـلى عهـد المفتـي الأكـبر الحـاج أمـين أفنـدي الحسـيني.

١٢٨ - (سـبيل البديـري) عـلى قيـد أمتـار مـن بـاب الناظـر إلى القبلـة بـين البـاب المذكـور وسـبيل شـعلان. إنـه سـبيل صغـير وجميـل. طولـه مـتران وعرضـه مـتران وارتفاعـه أربعـة أمتـار. يحيـط بـه مـن جهاتـه الثـلاث حاجـز حديـدي مشـبك. إلا الجهـة الشرقيـة فـإن بهـا بلاطـة نقشـت عيلهـا الأبيـات الآتيـة:

عمره من حاز كل سـؤدد

وفضلـه قد فاض فما يهب

عـين الأكارم والاماجد مصطفى

قائمقـام القدس نال المطلب

كالسلسـبيل ماؤه يشفي الصدا

عذب فرات سـائغ منه الشرب

برسـم من حاز الفخار والعلى

عثمان بك للغفاري ينسـب

يبغـي به الجزاء يوم محشر

في زمرة الأخيار غدا يحسـب

كلاهـما من حوض طه يرتوى

يا حبذاك مطلب ومأرب

كلاهـما البشرى له تاريخه

في قـدح من الرحيق يشرب

والمعتقـد أن ذلـك تـم في زمـن السـلطان محمـود الأول سـنة ١١٥٣ هـ ١٧٤٠ م. وهـو اليـوم مهجـور لا مـاء فيـه. وبنيانـه قائـم كأن الزمـن لم يقـو عـلى تقويضـه رغـم ضآلـة حجمـه.

١٢٩- (سـبيل شـعلان) في أسـفل الـدرج المـؤدي إلى صحـن الصخـرة مـن الزاويـة الشـمالية الغربيـة عنـد الطريـق المؤديـة إلى بـاب الناظـر. انشـأه الملـك المعظـم عيـسى (٦١٣ هـ - ١٢١٦م). هنـاك عـلى واجهتـه الغربيـة ثـلاث بلاطـات مـن رخـام كتـب عـلى اليـسرى منهـا وهـي إلى الشـمال بالنسـخ الأيـوبي وبأحـرف صغـيرة هـذه الكلـمات:

«بسـمله .... تطـوع بعمـل هـذا الصهريـج والمصنـع المبـارك لوجـه اللـه تعـالى العبـد الفقـير إلى رحمـة اللـه تعـالى محمـد بـن عـروة بـن سـيار

الموصلي رحمه الله ورضي عنه من نعمة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزائم عيسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب غفر الله لهما وذلك في شهور سنة ثلث عشر وستماية وصلى الله على محمد وآله. ٦١٣ هـ - ١٢١٦ م.»

وقد جدده الملك الأشرف برسباي بدليل الكتابة التالية التي قرأتها على البلاطة اليمني إلى القبلة:

« جدد هذا السبيل والمصلى والمحراب العبد الفقير إلى الله تعالى شاهين ناظر الحرمين الشريفين في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي خلد الله ملكه بتاريخ شهر رمضان المعظم سنة ٨٣٢ هـ - ١٤٢٩ م.»

وفي زمن السلطان مراد الرابع (١٦٢٧م) جددت عمارته. بعد أن ظل خرابًا قرابة قرنين. نقشت على جداره الغربي وعلى البلاطة الوسطى الكلمات التالية:

« أمر بعمارة هذا السبيل المبارك بعد خرابه وتعطيله صاحب الخيرات والمبرات الوزير المكرم والمشير المعظم حضرة بيرام باشا المحافظ بمصر المحروسة. فعمر بمباشرة ملك الأمراء الكرام حضرة محمد باشا المحافظ بالقدس الشريف في ذي الحجة سنة ١٠٣٧ هـ - ١٦٢٧م »

وهو الآن عامر. يسقون بمائه الأشجار التي غرسها المجلس الإسلامي في ساحة الحرم غربي صحن الصخرة إلى الشمال.

١٣٠- (سبيل قاسم باشا) وهو الكائن على حافة بركة الررنج إلى الغرب من ساحة الحرم وعلى بعد بضعة أمتار من باب السلسلة إلى الشمال الشرقي. فقد أنشأه متولي القدس في ذلك الحين قاسم باشا. وإنك لتقرأ على جداره الغربي بالخط النسخي المملوكي هذه الكلمات:

« أنشأ هذا السبيل المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى وطلبًا لمرضاته في أيام مولانا السلطان الأعظم ثاني سليمان في ملك العالم السلطان سليمان بن السلطان سليم خان أمير أمراء العرب والعجم، مولانا قاسم باشا يسر الله له ما يشاء على يد العبد الفقير إلى الله عبد ربه مصطفى في العشر الأخير من شعبان المعظم سنة ٩٣٣ هـ - ١٥٢٧م.»

ماؤه من برك سليمان. وهو الآن عامر. أنه مثمن الأضلاع. في كل ضلع حنفية. وفي شماله بركة مربعة مفروشة بالرخام. حولها دربزين من حديد. مساحتها ٧ × ٧ أمتارض. عمرها المجلس الإسلامي الأعلى.

١٣١ - وهناك سبل أخرى أنشئت على عهد السلطان سليمان القانوني (٩٤٣ هـ - ١٥٣٦ م):

واحد بباب السلسلة تجاه مدخل الحرم، والثاني بحارة الواد عند ملتقى طريق باب الناظر بعقبة التكية، والثالث في الحارة نفسها قريب من باب القطانين، والرابع في ساحة الحرم من الشمال وعلى قيد أمتار من الباب العتم شمالي قبة العشاق، والخامس في طريق

(ستنا مريم) على بعد بضعة أمتار من باب الأسباط إلى الغرب. فقد نقشت على جدار كل واحد منها هذه الكلمات:

« أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملك الأعظم والخاقان المكرم مالك رقاب الأمم سلطان الروم والعرب والعجم عز الإسلام والمسلمين ظل الله في العالمين حامي الحرمين الشريفين السلطان سليمان بن السلطان سليم خان خلد الله ملكه وسلطانه وأدام عدله وإحسانه في سنة ثلاث وأربعين وتسعماية - ١٥٣٦ م.

١٣٢- وقد جرى تعمير السبيل في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد. فإنا نقرأ في الوثائق التي خلفها لنا الأتراك أن هذه القناة عمرت على عهد السلطان عبد الحميد وأن مياه ارطاس صارت تسيل إلى القدس والحرم من غير عائق، وأن ذلك جرى في سنة ١٣١٧ مالية (١٨٩٨م). وقد شاهدت حفلة تدشينها. وكنت صبيًا.

كانت هذه القناة، في السنين الغابرة، مبنية بالكأس والحجارة. وظلت كذلك حتى سنة ١٨٩٨ م يوم أستبدل القسم الممتد من بيت لحم إلى الحرم بمواسير حديدية خلا نفقين يخترقان الأرض - أحدهما تحت مدينة بيت لحم، والثاني تحت جبل المكبر - فقد ظلا على حالها القديم. أي أن الماء يسيل فيهما في قناة حجرية، ثم أستبدل القسم الكائن بين بيت لحم وبرك سليمان بمواسير في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠م). وكذلك قل عن النفق الذي يمر من تحت مدينة بيت لحم. فراح الماء يسيل في المواسير من برك سليمان إلى

بيت لحم إلى جبل المكبر في المواسير. وبعد أن يسيل في النفق الكائن تحت جبل المكبر في القناة الحجرية القديمة على مسافة مئتي متر بالوجه التقريبي يدخل في المواسير ثانية، ويندفع في سيره بقوة الجريان الطبيعي حتى الحرم.

١٣٣- راحت مصلحة الأوقاف الإسلامية، في السنوات الأخيرة، تزود الحرم بماء (رأس العين)، ذلك الينبوع الغزير الذي تتزود بمائه أحياء المدينة الأخرى، وقد ذكرناه في كتابنا (تاريخ القدس).

١٣٤ - يفهم مما تقدم أن الحرم يتزود بالماء في يومنا هذا من ثلاثة ينابيع مختلفة:

الأول - الصهاريج والآبار الكائنة في ساحة الحرم والتي تتجمع فيها مياه الأمطار.

الثاني - برك سلمان والينابيع التي حولها.

الثالث ـ رأس العين.

الحرم القدسي

•••

١٣٥- إن جميع الأماكن المتقدم ذكرها، الصخرة والأقصى وما بينها وما حولها من منشئات حتى الأسوار، هي التي نعبر عنها، في يومنا هذا، بالحرم القدسي. مساحته بوجه الإجمال ٢٦٠،٦٥٠ مترًا مربعًا. وأما بوجه التفصيل فمن الناحية الشرقية ١٥٣٠ قدمًا(٤٧٤ مترًا) ومن الناحية الغربية ١٦٠١ قدم (٤٩٠ مترًا) ومن الشمال ١٠٤٢ قدمًا (٣٢١ مترًا) ومن الجنوب ٩٢٢ قدمًا (٢٨٣ مترًا).

والحرم كائن فوق سهل مرتفع كان فيما مضى يدعى (تل المريا). ذلك التل الذي ورد ذكره في سفر التكوين يوم أتى إبراهيم بولده إسحق إلى هذا المكان ليضحي به. وهو أيضًا المكان الذي كان فيه بيدر (ارنان) اليبوسي.

١٣٦- لم تقم البعثات الأثرية بالحفر داخل الحرم القدسي سوى مرة واحدة (١٩٠٩ م) يوم قامت بعثة أثرية انكليزية وحفرت في إسطبل داود ومهد عيسى وفي بئر الأرواح على جانب الصخرة. ولم تذع نتائج الحفر بطريقة علمية ليطمئن الناس. وإن كان أشيع يومئذ أنهم اكتشفوا تابوت العهد واللوحين الحجريين المدونة فيها الوصايا العشر. والبعثة مؤلفة من عمدة ومهندسين وعملة بريطانيين برئاسة القبطان باركو.

لم يرض المسلمون عن هذا العمل. لا، لأنهم ضد التحريات العلمية.

ولكـن البحـوث التـي تقـدم ذكرهـا جـرت ليـلًا وتحـت طـي الخفـاء، دون أن يقـال لهـم مـا هـو القصـد مـن ذلـك؟ فغضبـوا عـلى شـيخ الحـرم الشـيخ خليـل الأنصـاري الملقـب بالدنـف. واعتقلتـه الحكومـة زمنًـا، ثـم عاقبتـه.

١٣٧- ولقـد سـمي (الحـرم القـدسي) ليـس لأنـه مقـدس لـدى مسـلمي القـدس فحسـب، بـل لـدى جميـع المسـلمين في كافـة أنحـاء الكـرة الأرضيـة. إنـه (أولى القبلتـين) إذ صـلى النبـي وصـلى المسـلمون عليـه في عهـده نحـو سـبعة عـشر شـهرًا قبـل أن يتخـذوا الكعبـة قبلتهـم. وهـو ثالـث الحرمـين اللذيـن خصهـما اللـه بالـشرف والتعظيـم.

وروي عـن النبـي (صلعـم) أنـه قـال:« إن الصـلاة في المسـجد الأقـصى أفضـل مـن الصـلاة في غـيره بخمسـمئة مـرة». ولهـذا أمـر المسـلمين بـأن يحرمـوا للحـج مـن بيـت المقـدس. وفي ذلـك قـال:« مـن أهـل بالحـج والعمـرة مـن المسـجد الأقـصى إلى المسـجد الحـرام غفـر اللـه لـه مـا تقـدم مـن ذنبـه ومـا تأخـر، ووجبـت لـه الجنـة.»

١٣٨- عندمـا فتـح عمـر بـن الخطـاب القـدس (٦٣٧ م) كان موقـع الحـرم الحـالي مهمـلًا بالمـرة، ينعـق فوقـه بـوم الخـراب. وليـس فيـه سـوى الطـاول الباقيـة مـن زمـن هـيرودس وعهـود الرومـان، وبقايـا الكنيسـة الملكيـة (بازيليـكا) التـي بنيـت عـلى عهـد الإمبراطـور جوسـتانيان. وكانـت الصخـرة عاريـة ليـس عليهـا أو حولهـا أي نـوع مـن أنـواع البنـاء .

١٣٩- روى الحافظ بن عساكر بسنده إلى أبي المعالي المقدسي عندما ذكر بناء عبد الملك فقال:« وكان فيه في ذلك الوقت من الخشب المسقف ستة الآف خشبة وفيه من الأبواب خمسون بابًا. ومن العمد ستماية عمود رخام. وفيه من المحاريب سبعة. ومن السلاسل أربعماية سلسلة إلا خمس عشرة. مايتان وثلاثون سلسلة في المسجد والباقي في قبة الصخرة. وذرع السلاسل أربعة الآف ذراع. ووزنها ثلاثة وأربعون ألف رطل شامي. وفيه من القناديل ألفا قنديل. وكان يسرج مع القناديل ألفا شمعة في ليالي الخير وفي نصف رجب وشعبان وليلتي العيد. وفيه خمس عشرة قبة سوى قبة الصخرة، وسطح المسجد ملبس بالرصاص.»

وعن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال: «حدثني أبي عن أبيه عن جده أن الأبواب كلها كانت، على عهد عبد الملك بن مروان، ملبسة بصفائح من الذهب والفضة»

وقال ابن الفقيه: «إنه كان في الحرم القدسي أربعة الآف خشبة، وسبعمئة عمود، وخمسمئة سلسلة من نحاس. وكان يسرج فيه كل ليلة ألف وستماية قنديل. وفيه من الخدم مئة وأربعون خادمًا. وله في كل شهر مائة قسط زيت. وله من الحصر في كل سنة ثمانمئة ألف ذراع. وفيه خمسة وعشرون ألف جب (؟) للماء. وفيه مصاحف لا يستقلها الرجل. وله أربعة مياضئ. وفيه خمسة وأربعون ألف صحيفة من الرصاص. وفي داخل المسجد ثلاث مقاصير للنساء طول كل مقصورة سبعون ذراعًا. وفيه خمسون بابًا داخلًا وخارجًا».

وقال العمري: «أن بين السور الشرقي وصحن الصخرة مئة شجرة من أشجار الزيتون والميس والتوت والتين. يستظل الناس تحتها ويصلون.»

وقال الصاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك:« مضى علي في مجاورة هذا الحرم الفصول الأربعة. فرأيت له في كل فصل محاسن في غيره لم تجتمع. وهو أنه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لب الذكي الأروع. وكل حد ممن له معرفة بالأعشاب يأتي إليه ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرته.» وقد عرك بنوع من الكلأ النابت فيه درهمًا من دراهمه فعاد الدينار في صفرته. ثم أخذ حشيشة أخرى وعركه بها فعاد أبيض أنقى مما كان أولًا.

١٤٠- قال مجير الدين:

« وكان للحرم في بداية عهد إنشائه ثلاثمئة خادم أشتريت له من خمس بيت المال. منهم عشرة يهود، وعشرة نصارى، والباقون مسلمون. أما اليهود فمهمتهم كنس أوساخ المسجد وتنظيف المطاهر التي حوله. وأما النصارى فمهمتهم صنع الحصر التي تستعمل في المسجد وتعزيل قناة الماء وتنظيف الصهاريج. ولا تؤخذ من هؤلاء ولا من أولئك الجزية.»

١٤١- كان السواد الأعظم من سكان القدس المسلمين، على عهد الأتراك، يعدون الانخراط في خدمة الحرم شرفًا: أولًا لأن هذه الخدمة تلائم معتقدهم الديني وميلهم للتمسك بتراث الآباء والأجداد. ثانيًا لأنها

كانت تدر عليهم أسباب العيش. فضلًا عن (الصرة) التي كان السلاطين يرسلونها إلى القدس، وفيها المال يوزعونه بواسطة وكلائهم على خدام الحرم حسب وظائفهم، فقد كان لهؤلاء الخدام نصيب معين من الخبز واللحم وسائر أنواع المؤن التي كانوا يأخذونها في أوقات معينة. ثالثًا لأن خدام الحرم كانوا يستثنون من الجندية. رابعًا وأخيرًا لأن وظائف الحرم وراثية، يتناقلها الأبناء عن الآباء، ويأمنون بها غوائل الدهر.

١٤٢- قبل أن تتسع المدينة ويخرج المقدسيون إلى خارج السور كانوا يفدون إلى الحرم في كل وقت من أوقات الصلوات الخمس. ويؤثرون الصلاة في داخله وفي جنباته على الصلاة في منازلهم. ونود أن ننقل عن الأستاذ النابلسي فيما يلي الطريقة التي كان يتبعها المصلون على عهده في صلواتهم الخمس وفي صلاة الجمعة والعيدين وصلاة الاستسقاء لئلا يزعج بعضهم بعضا. ومنها تدرك كثرة عدد المصلين في ذلك العهد. قال:

صلاة الظهر والعصر

أول ما يصلي (أمام المالكية في جامع المغاربة) وخلفه في الجامع المبلغ المقتدي به، وعلى الصفة من الخارج مبلغ آخر، وفي صحن الصخرة مبلغ آخر غير مقتد به. فإذا فرغ يصلي(أمام الشافعية في المسجد الأقصى) وخلفه في المسجد مبلغ مقتد به، وعلى الصفة في الخارج مبلغ، وفي صحن الصخرة مبلغ آخر غير مقتد به.

فـاذا فـرغ صـلى (إمـام الحنفيـة بجامـع الصخـرة) وخلفـه مبلـغ يقتـدي بـه، وفي سـطح الصخـرة مـن الخـارج مبلـغ آخـر غـير مقتـد بـه.

فـإذا فـرغ صـلى (إمـام الحنابلـة في المسـجد الـذي تحـت المدرسـة السـلطانية).

وأمـا صـلاة المغـرب والعشـاء والفجـر فـكل إمـام يصـلي بجماعتـه عـلى غـير ترتيـب.

وأمـا صـلاة الجمعـة فأنهـا تقـام بالمسـجد الأقـصى لا غـير. ويخطـب الخطيـب في المنـبر الـذي بجانـب المحراب.

وأمـا صـلاة العيديـن وصـلاة الاستسـقاء فأنهـا تقـام في المحـراب الـذي عـلى صحـن الصخـرة. وعـلى قـول الغـزالي أنـه كان في المسـجد الأقـصى، عـلى عهـده، ثلاثمئـة وسـتون مدرسًـا. ويقـال أنـه بـكى يومئـذ إذ لم يجـد، في هـذا المسـجد الـذي يعتـبره المسـلمون بمثابـة عـرش اللـه الأدنى، أكـثر مـن هـذا العـدد مـن المدرسـين.

١٤٣- كانـت زيـارة الحـرم، في العهـود الإسـلامية الغابـرة، مباحـة للنـاس أجمعين.ولمـا أخـذت ريـاح الإسـتعمار السـياسي تهـب عـلى الـشرق وقـد سـبقتها ريـاح الإسـتعمار الدينـي باسـم الإرسـاليات الأجنبيـة المختلفـة؛ خـشي أولـو الأمـر العاقبـة فحرمـوا الزيـارة عـلى الأجانـب كائنًـا مـن كانـوا، واباحوهـا لمـن والأهـم مـن المسـيحيين العـرب المواطنـين.

وقد ظلت الحال كذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر: إذ حصل الدوق برابانت البلجيكي وعقيلته النمسوية الأصل على إذن من السلطان بزيارة الحرم. وقد تمت هذه الزيارة في اليوم السابع من شهر نيسان سنة ١٨٥٥. ورافق الأمير وعقيلته في زيارتهما كامل باشا متصرف القدس في ذلك الحين.

ويقال إن المتصرف أضطر لإبعاد التكارنه محافظي الحرم بحيلة، وأنه اعتقلهم يوم الزيارة وأقام مكانهم على أبواب الحرم حراسًا آخرين. ثم أعادهم إلى عملهم بعد أن إنتهت الزيارة. وقد إنتهت هذه بسرعة. إذ كان الجميع يخشون غضب المسلمين من سكان بيت المقدس، دع عنك التكارنة حراس الحرم.

ولكن موقف المسلمين تبدل فيما بعد. إذ رأوا، بعد إنعام النظر، أنه خير لهم أن يزور الأجانب هذا الأثر التاريخي الجليل، ليدركوا مبلغ الرقي الذي وصل إليه العرب والمسلمون من حيث فن البناء والهندسة المعمارية.

فأصبحت الزيارة، في يومنا هذا، مباحة للجميع على حد سواء.

١٤٤- قبل أن نختتم كلامنا عن الحرم نرى لزامًا علينا أن نحذرك، أيها القارىء الكريم، من بعض الخرافات والأساطير التي تحوم حوله. تلك الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان. والتي بثها أعداء المسلمين والجاهلون ليقللوا من روعة هذا المكان المقدس الذي يجله جميع المسلمين القاطنين فوق الكرة الأرضية. فمن ذلك قولهم:

١ - أن الصخرة معلقة في الهواء. وأن البنيان الذي تحتها حديث العهد.

٢ - في صحن الصخرة من جهة الغرب مزولة على بلاطة كبيرة منصوب عليها لوح من الحديد يعرف بظله مقدار الماضي والباقي من ساعات النهار. يسميه بعضهم (لسان الكذاب).

٣- يبرز في الصخرة لسان إلى جهة القبلة يميل إلى الشرق يقولون أنه سلم على النبي (صلعم) ليلة الاسراء، كما سلم على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يوم الفتح.

٤- في وسط قبة السلسلة من الداخل سلسلة ذات حلقات متعددة، يقولون أن الذي يمسكها بيديه ويقسم يمينًا كاذبًا، تنفصل منها حلقة، فتقع على رأسه، وتصعقه لوقته.

٥- في حائط قبة الطومان عمود من الرخام ملفوف يسمونه (بطن المرابي).

٦- وهناك عمود آخر بالقرب من بطن المرابي في حائط قبة الطومان يسمونه (عايق والديه).

٧- في أسفل الدرج القبلي الكبير الذي يصل بين الصخرة والأقصى بلاطة كبيرة يسمونه (بلاطة الأولياء). ويقال أن تحتها مغارة متصلة بمغارة السيد الخليل، وأن الدعاء هناك مستجاب.

٨- بالقرب من حائط البراق مكان معتم وفيه مسجد صغير. وفي حائط المسجد حلقة كبيرة يقال أنها (الحلقة التي ربط بها النبي البراق) ليلة الاسراء.

٩- إذا خرجت من باب المسجد عند باب جامع المغاربة تنزل في درج طويل قليل العرض. تجد في أسفله طاقة في الحائط يقال أن موسى عليه السلام ألقى الألواح هناك. ويسمونها (ألواح موسى).

١٠- لجامع الصخرة أربعة أبواب: الشمالي منها معروف بباب الجنة. وعنده البلاطة السوداء، وفيها مسامير من الفضة يزعم الناس أن في كل سنة يغيب منها مسمار. فإذا غاب الجميع قامت الساعة. ويقولون إنها (بلاطة الجنة).

١١- في صدر المغارة التي تحت الصخرة مسطبة لها عمود متصل بالصخرة يقال أن هناك مقام الخضر عليه السلام.

١٢- وفي نفس الصخرة خرق واسع، فيه قنديل يشعل كل ليلة. ويعتقدون أن النبي حين إنتهى إلى بيت المقدس مال جبريل بإصبعه إلى الصخرة فخرقها وشد بها البراق. والمغارة التي تحتها يسمونها (مغارة الأرواح) ويعتقدون أن الله يجمع بها أرواح المؤمنين يوم القيامة.

١٣- على الصخرة نفسها آثار أقدام يقولون أن بعضها آثار أقدام عيسى، والبعض الآخر آثار أقدام إدريس!...

١٤- وكذلك قل عن (خباية ستنا فاطمة).

١٥- و (مصارين الكذاب).

١٦- وهناك الصراط أو الميزان الذي ينصب يوم القيامة بين سور الحرم وجبل الطور الذي يقابله من الشرق. يقولون أنه هو المقصود في الآيات ١٠١ - ١٠٣ من قوله تعالى: «فإذا نفخ في الصور فلا أنساب

بينهـم يومئـذ ولا يتسـاءلون. فمـن ثقلـت موازينـه فأولئـك هـم المفلحـون. ومـن خفـت موازينـه فأولئـك الذيـن خـسروا أنفسـهم في جهنـم خالـدون.» إلى آخـر مـا جـاء في سـورة المؤمنـين. واللـه أعلـم بالصـواب.

لقد مثّل النشر عبر العصور أداةً للتمدّد والاحتواء، وهو بذلك استطاع أن يمتلك قُدرة استثنائية على التجدّد والتنوّع في حركته وتحوّلاته التقنية، بدءًا من الإيماءة ومرورًا بالنقش ثم الطباعة على الورق، ليُشكّل بذلك ضوءًا مُتعدّد الطبقات، يَقبضُ بوميضه على أحاسيسنا المتغيّرة بفعل الزّمن.

إن تمدّدًا على هذا النّحو، يمكنه أن يقلّص المسافة، وأن يُجسّد حاجتنا إلى التنقّل عبر المحطات العابرة للتاريخ، بل يُثري تجاربنا في تشكيل القوالب الحيّة لذاكرة لا تغيب.

فتلك التحوّلات التي أنتجتها التكنولوجيا لم تأتِ صدفةً، إنها انبثاقُنا المبتكر نحو خلق الترابط مع الآخر في هذا العالم الوسيع.

ضمن تلك الرؤية، صمّمت وزارة الثقافة مشروعها نحو النشر الرقمي ليقينها بضرورة توسيع نطاق النّشر وإتاحته أمام أكبر عدد ممكن من الباحثين والدارسين والقُرّاء.

وزير الثقافة
عماد عبدالله حمدان

مشروع النشر الرقمي